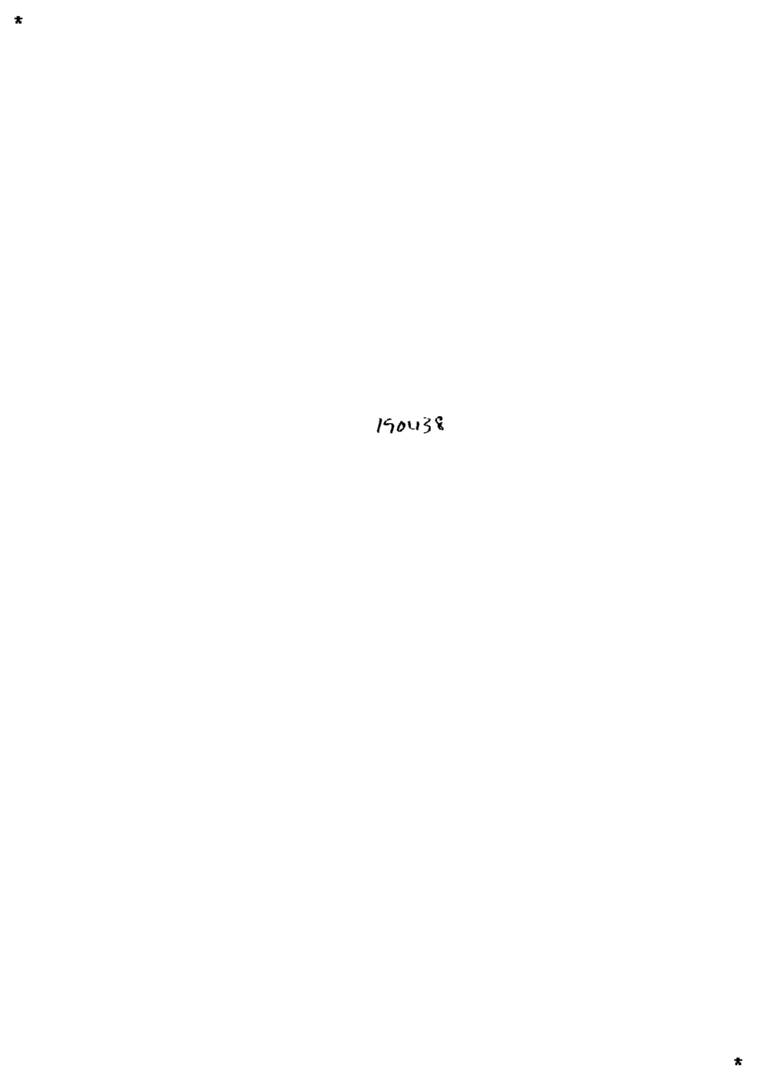
THE BOOK WAS DRENCHED



سلسلة مطبوعات ندوة العلماء (٢)



من أدب العرب

قسم النثر

(اختارها وعلق عليها)

أبو الحسن علي الحسني الندوي

أستاذ تاريخ آداب اللغة العربية في دار العلوم
التابعة لندوة العلماء
بلكهنؤ (الهند)



مختارات

من

أدب العرب

(قسم النثر)

مجموعة تمثل الادب العربي الاسلامي في جميع مظاهره ومناحيه الادبية
والتاريخية والتهذيبية من العصر الاسلامي الاول الى القرن
الرابع عشر الهجري

اختيار و تعليق

للسيد ابي الحسن علي الحسني الندوي

استاذ تاريخ آداب اللغة العربية

في دار العلوم التابعة لندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

المطبعة النظامية لكهنو (الهند) تحت اشراف صاحب المطبعة محمد جواد

رمضان سنة ١٣٦١ هـ

*



كلمة الجامع

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه اجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين،

امّا بعد فقد انتهت بنا معالجة التعليم والتربية، والاتصال بطبقات الامة الاسلامية ورجالها فى البلاد الاعجمية -كالهند- خاصة ودراسة نفسيات الشباب وعقولهم، وما يبدر منهم بين حين وآخر من آراء غريبة ونظريات شاذة فى الدين والاخلاق والاجتماع الى ان للّغة وما تحويه من ادب وثقافة دينية اثرا بليغا فى العقلية ومنهج التفكير وان للدين لغة كما للشعب لغة وان للدين

ثقافة يحفظها لغته و من جهل هذه اللغة لم يتشبّع بروح الدّين ولم يرو ظمأه من معينه و لم يستق من منابعه الصافيه

و اللغة العربية ، مفتاح كنوز الكتاب و السنّة ، و باب ذلك المكتبة العامرة الزاخرة التى تحتوى على انفس ما انتجته القرائح البشريه وابداعته العقول السليمة . و فاضت به خواطر و سالت به محابر من ادب وشعر و تاريخ و فن وحكمة فى مساحة زمانية واسعة كمساحة التاريخ الاسلامى و فى مساحة مكانية شاسعة كمساحة العالم الاسلامى ،

سبق للغة العربية فى الهند عهد زاهر و سوق نافقة فنبغ فيها بعض كبار المولفين فى العربية و اللغويين و الشعراء كالامام الصغانى اللاهورى (م ٦٥٠ ﻫ) صاحب العباب الزاخر ومجمع البحرين و كتاب الاضداد فى اللغة و مشارق الانوار فى الحديث(١) والقاضى عبد المقتدر الدهلوى (م ٧٩١ ﻫ) صاحب القصيدة اللامية والشيخ احمد التهانيسرى (م ٨٢٠ ﻫ) صاحب الداليه والعلامة محمود الجونبورى (م ١٠٦٢ ﻫ) صاحب الفرائد فى علوم البلاغة وشيخ الاسلام ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى (م ١١٧٦ ﻫ) صاحب حجة الله البالغة و اطيب النغم والشاعر المورخ السيد غلام على آزاد البلكرامى (م ١١٩٤ ﻫ) صاحب السبع السيارة

---

(١) راجع نزهة الخواطر لعبد الحى الحسنى و كشف الظنون للحلبى وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ،

وسبحة المرجان واللغوى الشهير السيد مرتضى البلكرامى الزبيدى
م ١٢٠٥ هـ) صاحب تاج العروس وتكملة القاموس.[1]

ثم اضمحلت هذه اللغة وادبها فى العهد الاخير على ملك التيموريين والانكليز لاسباب ترجع الى التاريخ ومنهاج الدراسة فى هذه الديار واعتل الذوق الادبى، يتجلى هذا فيما قالوا من شعر و فيما الفوا من كتب بالعربية وما انشأوا من رسائل، وما علقوا من شروح و حواش، وما اختاروا من كتب للدرس وقلما تجد شيئا تقربه عين العربية و يسيغه الذوق السليم

و لعلك تعذر القوم او تسامحهم فى عيهم و انحراف ذوقهم اذا عرفت ان قصارى نظرهم و مادتهم الوحيدة فى اللغة هى السبع المعلقات و ديوان الحماسة والمتنبى فى الشعر و نفحة اليمن والمقامات للحريرى فى النثر، ولما كان قسط الشعر عندهم او فر من النثر وامثلته اجمل من امثلة النثر كانوا اسعد و اكثر توفيقا فى الشعر منهم فى النثر و لولا اتصالهم بالقرآن و دراستهم لكتب الحديث، لكانوا اعجز بيانا و افسد ذوقا

من المعلوم ان الذى يربى ملكة اللغة و التعبير و يساعد على الكتابة و الخطابة هو النثر لا الشعر فالشعر دائما مقيد مغلول والنثر عندنا ايضا اشبه بالشعر منه بالنثر له قواف و سجع، و صناعة و تكلف، فاصبح الادب عندنا ايضا كالعلوم النظرية

---

(١) انظر تراجمهم فى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة السيد عبد الحى رحمه الله مدير ندوة العلماء سابقا

تدرس و لاتستعمل،

ثمّ إنّ اللغة ليست ادبا و شعرا و استعارة و تشبيها فقط كما ترى فى المقامات و الكتب الادبية الاخرى بل هى لغة بيت واسرة ايضًا وحديث صديق لصديق و رجل لاهله جدّ و هزل، و تعبير عن وجدان وعاطفه وحب و مقت و احوال نفسية كثيرة كما تقرأ فى كتب الجاحظ و ابى الفرج الاصبهانى وغيرهما

و من الغريب انّه لم يكن يدرس قبل نفحة اليمن كتاب ابتدائى فى النثر و ليس بين النفحة والمقامات حلقة تصل بينهما وبين الكتابين مسافة بعيدة لايبلغها خطوة الطالب

و بقطع النظر عن هذه النقائص الفنية و الادبية فان تدريس نفحة اليمن الاحداث موضع نقد شديد من الوجهة الخلقية ولان حكاياتها ونوادرها لاتترك فى ذهن الناشئه اثرًا صالحًا وكذالك كتاب المقامات لايحسن تصوير المجتمع الاسلامى و لايمثل المدنية الاسلامية او بلفظ اصح مدنية المسلمين تمثيلا جميلا بل بالعكس من ذالك يصور ذالك التدهور الخلقى و تلك الفوضى الاجتماعية التى ابتلى بها العالم الاسلامى فى اواسط العصر العباسى وفيها من الحكايات والنكت مايحرمها وجه الادب ويتندّى لها جبين الحياء.

أدركت هذه النقائص علماء الندوة و القائمون على ادارة دار العلوم

التابعة لها وشعروا بنقائص منهاج الدرس القديم وتحرروا من قيود التقليد فى نظام التعليم، واحدثوا بدعا فى منهاج الدرس واختيار الكتب ، فرجحوا كفة النثر وقرروا كتبا ادبية كانت جديدة فى الهند ثم شعروا بحاجة الى وضع مجموعة تحتوى على مختارات للكتّاب و الشعراء تكون مادة لغوية ومنبعا فياضًا للخيال والتعبير و الكتابة وتمثل مع ذلك الثقافة الاسلامية العربية ، فالناحية الثقافية اوالخلقية ناحية مهمّة فى حياة المسلمين، واذا لم يفِ ادبنا بهذا الغرض فهو ادب ناقص عقيم ولايستحق ان يسمّى ادبًا اسلاميا ولاخير لنا فيه

عهد حضرة الفاضل الدكتور السّيد عبدالعلى الحسنى مديرندوةالعلماء بهذه المهمّة الى هذا العاجز فانتقيت مختارات منثورة و منظومة من مصادر الادب العربى و مظانه وجعلت الكتاب فى جزئين جزء النثر وجزءالنظم و اجتهدت ان يكون هذا الكتاب مرآة لمحاسن العربية وجمالها . مجموع صور ناطقة للحضارة الاسلامية العربية فى عصورها الزاهرة . شاهدا بسعة اللغة العربيةوثروتها و مرونتها وتنوّعها و مجاراتها للعصر الجديد و اغراضه المتنوعة ، و ما غفلت وبيد الله التوفيق ان ادخل من ابواب الفكر التى تفتحت لدروس اللغة والادب افكارا وتاثيرات دينيّة وخلقية ، عسى ان يكون لها اثر فى النشأة و تكوين السيرة ،

وقد جمع الكتاب بين الوان الادب العربي المختلفة و بدائعه من وحي سماوي و بلاغة نبوية وخطب لاشهر خطباء العرب في ازهر عصور العربية و روايات و قصص و رسائل وكتب و مناقشات ومحاورات ورحلات واحاديث منزلية منبسطة وجد وهزل وحكمة و لهو.

وقد عُنِيتُ فِي جمع هذا الكتاب وتاليفه ببعض روايات طويلة ماخوذة من كتب الحديث الصحيح قد تحدث فيها الراوي العربي بما شاهد وماجرى له و قد ارسل النفس على سجيتها و افضى بذات صدره ومعلوماته باسلوب طبيعي ممتع وتصويرٍ صادق للاحوال النفسية و تعبير رقيق عن وجدانٍ و عاطفة وكلامٍ غير مصنوع وهي امثلة جميلة للادب العربي طالما اغفلها الادباء المؤلفون ولم يعيروها ما تستحق من النظر والعناية

و الكتاب يمثل الادب العربي في اكثر ادواره من العصر الاسلامي الاول الى العصر الحديث، ولكن على كل ليس الكتاب كتاب تاريخ فلم التزم فيه التزام المورخ و لم آخذ على نفسي ان اعرض لكل طبقة او لكل كاتب مثالًا لكتابته ويرى القارئ قبل النثر الحديث فراغًا طويلا، و ذلك لاني لا اجد احدًا في هذه الفترة من يصلح ان يكون انموذجًا صالحًا و لا اجد مبدعًا صاحب اسلوب خاص، و انما هو قلم الحريري او القاضي الفاضل يكتب به الكتاب، و لم يتكسر هذا القلم، كما يقول الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب تاريخ الادب العربي، الا في آخر صفحة من صفحات حديث عيسى بن هشام فمن كتب به بعد ذلك

كتب به مقلولا

و ارى ان النثر الحديث للكتاب البارزين الراسخين في العربية فى مصر والشام ليس باقل روعة وجمالا واتساقا و انسجاما من النثر العربى القديم فى العصر الاموى والعباسى، خلافا للشعر العصرى فليس فى درجة النثر لاسباب سياسيه و اجتماعية وعلمية كثيرة دعت الى تقدم النثر ونضجه ،

وقد ترجمت لاصحاب القطع المختارة و بينت خصائصهم الكتابيه وطبقتهم واشرت الى النواحى الادبية المهمة و استلفت اليها نظر المعلم ليكون منها على بال وليتنبه الطلبة عليها ويجيئ اذهانهم لتاريخ الادب العربى الذى سيدرسونه ،

اشكر حضرات السادة الاستاذ الشيخ محمد حليم عطا مدرس الحديث الشريف فى دار العلوم و فضيلة الاستاذ السيد طلحة الحسنى معلم الكلية الشرقية فى لاهور و قد رأيت منهما توافقا فى الاذواق و تواردا فى الافكار غريبا و الاستاذ عبد السلام الندوى القدوائى استاذ التاريخ والسياسة و اخص بالشكر الاستاذ محمد ناظم الندوى استاذ آداب اللغة العربية فلولا مساعدته الغاليه و آرائه السديدة لكان هذا الكتاب ناقصا جدا و اوجه كلمة شكر و اعتراف الى صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر مولانا السيد سليمان الندوى مدير دار العلوم والاستاذ محمد عمران خان الندوى الازهرى عميد دار العلوم لما انا حالى

من الفرص وما بذلالی من المعونه

والله المسئول ان ينفع طلبة اللغة العربية بهذا الكتاب و يحبب اليهم هذه اللغة الكريمة ويحثهم على الزيادة منها و التقدم فيها و يساعدهم فى فهم الكتاب و السنة فهو اكبر مطلوب وبالله التوفيق

علىّ الحسنى الندوى
لكهنؤ
غرة ربيع الثانى ١٣٥٩هـ

—·—·—

فهرس المحتويات

ـه قد وقع غلط فى الارقام فى اصل الكتاب فليصحح



١ـ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ

تَبٰرَكَ الَّذِىْ جَعَلَ فِى السَّمَآءِ بُرُوْجًا وَّجَعَلَ فِيْهَا سِرٰجًا
وَّقَمَرًا مُّنِيْرًا ۝ وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً (١) لِّمَنْ
أَرَادَ أَنْ يَّذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوْرًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِيْنَ
يَمْشُوْنَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (٢) وَّإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجٰهِلُوْنَ قَالُوْا سَلٰمًا ۝
وَالَّذِيْنَ يَبِيْتُوْنَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَّقِيَامًا ۝ وَالَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا
اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَّمُقَامًا ۝ وَالَّذِيْنَ إِذَآ أَنْفَقُوْا لَمْ يُسْرِفُوْا وَلَمْ يَقْتُرُوْا (٣)
وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَامًا (٤) ۝ وَالَّذِيْنَ لَا يَدْعُوْنَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا أٰخَرَ
وَلَا يَقْتُلُوْنَ النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُوْنَ وَمَنْ يَّفْعَلْ
ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٥) ۝ يُضٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيْهِ
مُهَانًا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَأٰمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ

---

(١) اى هذا خلفا من هذا يتبع كل منهما الاخر (٢) اى بسكينة وتواضع
(٣) لم يضيّقوا (٤) وسطا (٥) عذابا وعقوبةً

سَيِّأٰتِهِمْ حَسَنٰتٍ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا○ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهٗ يَتُوْبُ إِلَى اللّٰهِ مَتَابًا○ وَالَّذِيْنَ لَا يَشْهَدُوْنَ الزُّوْرَ وَإِذَا مَرُّوْا بِاللَّغْوِ مَرُّوْا كِرَامًا○ وَالَّذِيْنَ إِذَا ذُكِّرُوْا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَّعُمْيَانًا○ وَالَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَّاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ إِمَامًا○ أُولٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوْا وَيُلَقَّوْنَ فِيْهَا تَحِيَّةً وَّسَلٰمًا○ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَّمُقَامًا○ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّيْ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُوْنُ لِزَامًا○(١)

(سورة الفرقان)

٢- مُوسٰى عليه الصلوٰة والسلام

طٰسٓمّٓ○ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ الْمُبِيْنِ○ نَتْلُوْا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَإِ مُوْسٰى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ○ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَّسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيٖ نِسَآءَهُمْ إِنَّهٗ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ○ وَنُرِيْدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَّنَجْعَلَهُمُ الْوٰرِثِيْنَ○ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامٰنَ وَجُنُوْدَهُمَا مِنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَحْذَرُوْنَ○ وَأَوْحَيْنَآ إِلٰٓى أُمِّ مُوْسٰٓى أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيْهِ فِي الْيَمِّ(٢) وَلَا تَخَافِيْ وَ

---

(١) ملازمًا (٢) البحر

وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ○ فَالْتَقَطَهُ آلُ
فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا
خَاطِئِينَ ○ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ○ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ
فَارِغًا(١) إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا(٢) لِتَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ○ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ(٣) فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ(٤) وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ○ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ
أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ○ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ
تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ○ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ(٥) وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ○ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا
رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ
عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ(٦) مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ
مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ○ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ○ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ○
فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ

---

(١) اى خاليا من كل شئ سوى موسى (كما روى عن ابن عباس) او فارغا من الحزن (٢) ربط الله على قلبه قواه وصبره وربطة الجاش قوة القلب (٣) اتبعى اثره (٤) بجفوة عنه باختلاسا (٥) يقال بلغ فلان اشده اى قوته وفى القرآن حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة والأَشُدّ بفتح الهمزة وضم الشين (كما فى القرآن) والأُشُدُّ بضمها القوة وهو جمع لا واحد له او واحد جاء على بناء الجمع (٦) الوكز الطعن والدفع والضرب بجميع الكف (م، ر)

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ○ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ○ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ (١) يَأْتَمِرُونَ (٢) بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ○ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ○ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ○ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ (٣) قَالَ مَا خَطْبُكُمَا (٤) قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ (٥) وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ○ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ○ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ○ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَٰأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ○ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ (٦) فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ○ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ○

(سورة القصص)

---

(١) الملأ جماعة يجتمعون على رأى فيملئون العيون رواءً ومنظرًا والنفوس بهاءًا وجلالة (م ر)

(٢) يقال للتشاور أئتمار لقبول بعضهم امر بعض فيما اشار به (م ر)

(٣) اى تمنعان غنمهما من الماء (٤) ما شأنكما (٥) الرعاء جمع راعٍ (٦) سنين جمع حجة

٣ الثبات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ○ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ(1) وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ○ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ○ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ○ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ
يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ
إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ(2) وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ○
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا
بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ○ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ
وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ○ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ
مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ○ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي
يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ
لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ○ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ○

---

(١) الحناجر جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم كناية عن شدة الخوف

(٢) غير حصينة نخشى عليها

أَشِحَّةً[1] عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ
أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ[2]
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ[3] فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ
عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ
فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ
ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ
تَسْلِيمًا ۝ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ
قَضَىٰ نَحْبَهُ[4] وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَحِيمًا ۝ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
مِنْ صَيَاصِيهِمْ[5] وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝
وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝

(سورة الاحزاب)

---

(١) الشح بخل مع حرص (٢) السلق بسط بقهر اما باليد او باللسان (٣) يقال للمقيم بالبادية بادٍ
(٤) النحب النذر المحكوم بوجوبه يقال قضى فلان نحبه اى وفى بنذره ويعبر بذلك عمن مات
كقولهم قضى اجله واستوفى اكله وقضى من الدنيا حاجته (م.ر) (٥) حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به

جوامع الكلم لسيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

امابعد فان اصدق الحديث كتاب الله، واوثق العُرَى[2] كلمة التقوى وخير الملل ملّة ابراهيم وخير السّنن سنة محمّدٌ واشرف الحديث ذكر الله، واحسن القصص هذا القرآن، وخير الامور عوازمها[3] وشر الامور محدثاتها، واحسن الهدى هدى الانبياء، واشرف الموت قتل الشهداء، واعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الاعمال ما نفع، وخير الهُدَي ما اتبع، وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى، و وما قلّ وكفى خير ممّا كثر والهى وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيمة ومن النّاس من لاياتى الجمعة الا دبرا ومنهم من لايذكر الله الا هجرا[4] ومن اعظم الخطاء اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النّفس، وخير الزاد التقوى وراس الحكمة مخافة الله عزّ وجل وخير ما وقر[5] فى القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل

(١) سيدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم افصح العالمين لساناً وابلغهم بياناً اجتمع له من صفات البليغ وخلال البيان من سليقة وبيئة وخلق وذوق وصفاء حس وتمكن لسان وميراث ادب وموهبة حكمة مالم يجتمع لاحد قبله ولايجتمع لاحد بعده، زد على ذلك ان لسانه جرى لوحى فكان مرتقاً بعد السّيل وحدّث عن حضرته ونباته، كان مطاع اللفظ متفقه اللسان فياض الخاطر جميل المذهب سهل اللفظ اماما مجتهداً صاحب معجزات وآيات فى اللسان العربي

(٢) العرى جمع عروة وهى من الابريق ونحوه مقبضه والعروة مايوثق به ومايعول عليه

(٣) امر عازم اى معزوم عليه (٤) الهجر بالفتح ترك ما يلزمك تعهده وبالضم الكلام القبيح (٥) وقر ثبت

الجاهلية، والغلول[1] من حر جهنم والسكر كى من النار، والشعر من ابليس والخمر جماع الاثم، وشر الماكل ماكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن امه وملاك[2] العمل خواتمه وشر الروايا روايا الكذب، وكل ماهو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، واكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألى[3] على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر له، ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن تتبع السمعة يسمعه الله، ومن يصبر يضعف الله له، ومن يعصى الله يعذبه الله ثم استغفر ثلثا"[4]

٥- الخطابة المعجزة

عن ابى سعيد الخدرى قال لما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطى من تلك العطايا الكبار فى قريش وفى قبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شئ وجد هذا الحى من الانصار فى انفسهم حتى كثرت فيهم القالة[5] حتى قال قائلهم لقى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) الغلول اصله السرقة من مال الغنيمة (٢) ملاك الامر بفتح الميم وكسرها قوام الامر الذى يملك به (٣) يتألى يحلف (٤) زاد المعاد فى هدى خير العباد للامام ابن القيم (٥) القالة القول الفاشى فى الناس خيرا كان او شرا

إن هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم لما صنعت في هذا الفئ[1] الذى أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الانصار منها شئ قال فأين أنت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما انا الا من قومى قال فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة[2] قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا وجاء آخرون فردهم فلما اجتمعوا اتى سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحي من الانصار فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال :ـ

يا معشر الانصار ما قالة بلغتنى عنكم وجدة[3] وجدتموها في انفسكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى وعالة[4] فاغناكم الله بى وأعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال الا تجيبونى يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المن والفضل قال أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك أوجدتم على يا معشر الانصار في انفسكم في لعاعة[5] من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا

---

(١) الفئ الغنيمة (٢) الحظيرة الموضع الذى يحاط عليه لتأوى اليه الماشية فتقيها البرد والريح (٣) الموجدة والجدة السخط والغضب (٤) العالة جمع عائل الفقير (٥) اللعاعة نبت ناعم في اول ما يبدو ومنه انما الدنيا لعاعة اى انها كالنبات الاخضر لا بقاء لها .

ووكلتكم الى اسلامكم الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم فو الذى نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا[1] وواديا وسلكت الانصار شعبا وواديا لسلكت شعب الانصار وواديها الانصار شعار[2] والناس دثار[3] اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال فبكى القوم حتى اخضلوا[4] لحاهم وقالوا رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قسما وحظا[5]

على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

دخل ابو بكر[6] الصديق رضي الله عنه على النبي عليه الصلوة والسلام وهو مسجى[7] بثوب. فكشف عنه الثوب وقال

« بابي انت وامي ! طبت حيا، وطبت ميتا ! وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجلت عن البكاء

---

(١) الشعب بالكسر الطريق فى الجبل ومسيل الماء فى بطن ارض وما انفرج بين الجبلين

(٢) الشعار بالفتح والكسر ما تحت الدثار من اللباس وهو ما يلي شعر الجسد وهو كناية عن البطانة من الناس والخاصة (٣) الدثار بالكسر الثوب الذى يستدفأ به من فوق الشعار

(٤) خضل واخضل الشيء نداه وبله (٥) زاد المعاد (٦) هو امير المؤمنين ابو بكر الصديق رضى الله عنه السابق الى الاسلام وثانى اثنين اذ هما فى الغار وخليل رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله أينقص وانا حى و كافل المسلمين اليتامى بعد وفاة الرسول صلعم توفى سنة ١٣ هـ وكلامه من خطب ورسائل ووصايا مرآة لسيرته وخلقه صدق مع عزيمة ورفق فى غير ضعف

(٧) سجى الميت مد عليه ثوبا.

وخصصت حتى صرت مسلاة[1]، وعممت حتى صرنا فيك سواء[2] ولولا ان موتك كان اختيارا منك[3] لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا انك نهيت عن البكاء، لانفدنا عليك ماء الشئون[4] فاما مالا نستطيع نفيه عنا، فكمد وادناف[5] يتحالفان ولا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم ابلغ نبيك عنا، واحفظه فينا"

ثم خرج الى الناس وهم فى شديد غمراتهم وعظيم سكراتهم فخطب خطبة قال فيها :-

" اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله، واشهد ان الكتاب كما نزل، وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث، وان القول كما قال، وان الله هو الحق المبين .

---

(١) المسلاة الموضع الذى تكثر فيه التسلية وما يبعث على السلو والمعنى انك يارسول الله ، قد صرت بموتك مسلاة للناس، فانك ما اختصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك الموت، فللعباد فيك اسوة حسنة ،

(٢) اى عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابتك سواء فى الحزن عليك والتفجع لفقدك (٣) يشير الى قوله عليه السلام : « لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير » قالت عائشة رض فسمعته وقد شخص بصره وهو يقول : « فى الرفيق الاعلى » فعلمت انه خير، فعلمت انه لا يختارنا اذن، وقلت هو الذى كان يحدثنا وهو صحيح (٤) جمع شان، وهو مجرى الدمع الى العين

(٥) دنف المريض كفرح، وادنف ثقل والشمس : دنت للغروب واصفرت

فى كلام طويل، ثم قال :

ايها الناس، من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، و من كان يعبد الله فان الله حى لايموت، وان الله قد تقدم اليكم فى امره، فلاتدعوه جزعا، وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم، وقبضه الى ثوابه، وخلف فيكم كتابه، وسنة نبيه، فمن اخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما انكر، ياايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط[1]، ولايشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولايفتننكم عن دينكم، فعاجلوه بالذى تعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم[2]"

٩ - شقاوة الملوك

خطب ابوبكر رضى الله عنه فقال

" ان اشقى الناس فى الدنيا و الآخرة الملوك، فرفع الناس رؤسهم فقال :- " مالكم يامعشر الناس ! انكم لطعانون عجلون، ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما فى يده، ورغبه فيما فى يدى غيره وانتقصه شطر اجله، واشرب قلبه الاشفاق، فهو يحسد على القليل، و يتسخط[3] الكثير، ويسأم الرخاء، وتنقطع عنه لذة البهاء، لايستعمل العبرة ولايسكن الى الثقة، فهو كالدرهم القسى[4] والسراب الخادع، جذل الظاهر

---

(١) القسط :- العدل (٢) زهر الاداب، (٣) تسخط عطاءه : استقله ولم يقع منه موقعا

(٤) الزائف

حزين الباطن، فاذا وجبت[١] نفسه، ونضب عمره وضحا ظله[٢] حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوه، الان الفقراء هم المرحومون وخير الملوك من امن بالله، وحكم بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم، و انكم اليوم على خلافة نبوّة. ومفرق محجة، وسترون بعدى ملكًا عضوضًا[٣]، وامة شعاعًا[٤]، ودما مفاحا[٥]، فان كانت للباطل نزوة[٦] ولاهل الحق جولة، يعفو لها الاثر، وتموت السنن، فالزموا المساجد واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة، وليكن الابرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر، اى بلاد خرشنة[٧] ان الله سيفتح عليكم اقصاها كما فتح ادناها"[٨]

١٠- خطبة عمر رض فى الحكم[٩]

قال طلحة بن معدان، خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال:-

"ايها الناس انه لم يبلغ ذو حق فى حقه ان يطاع فى معصية الله وانى لااجد

---

(١) مات ووجبت الشمس غابت، والعين غارت (٢) مات ايضا (٣) العضوض: مايعض عليه، وملك عضوض فيه عسف وظلم (٤) متفرقة (٥) اقاحه، اراقه (٦) وثبه (٧) خرشنة: بلد بالروم، والمراد بلاد الروم (٨) البيان والتبيين، صبح الاعشى

(٩) اميرالمومنين عمر رضى الله عنه معجزة من معجزات الرسول عليه الصلوة والسلام و من بدائع العالم فى رجاحة العقل وحصافة الراى وحسن السياسة الى العبقرية والعصامية الى الدين والتقوى والمثل الكامل للحكم العادل والجمع بين الدين والدنيا كان من فتوحه العلم والفقه ومن جنوده الخطابة والبلاغة توفى مستشهداً ٢٣ه‍ ه

هذا المال يصلحه الا خلال ثلاث، ان يؤخذ بالحق ويعطى فى الحق، و يمنع من الباطل؛ وانما انا ومالكم كولى اليتيم، ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف ولست ادع احدا يظلم احدا ولا يعتدى عليه حتى اضع خده على الارض، واضع قدمى على الخد الاخر حتى يذعن[1] للحق، ولكم على ايها الناس خصال اذكرها لكم فخذونى بها لكم على ان لا اجتبى شيئا من خراجكم ولا مما افاء الله عليكم الا من وجهه، ولكم على اذا وقع فى يدى ان لا يخرج منى الا فى حقه ولكم على ان ازيد اعطياتكم وارزاقكم ان شاء الله واسد ثغوركم، ولكم على ان لا القيكم فى المهالك ولا اجمركم[2] فى ثغوركم، ولكم على ان لا القيكم فى المهالك ولا اجمركم[3] فى ثغوركم وقد اقترب منكم زمان قليل الامناء كثير القراء قليل الفقهاء كثير الامل، يعمل فيه اقوام للآخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب الا كل من ادرك ذلك منكم فليتق الله ربه وليصبر يا ايها الناس ان الله عظم حقه فوق حق خلقه فقال فيما عظم من حقه ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ الا وانى لم ابعثكم امراء ولا جبارين ولكن بعثتكم ائمة الهدى يهتدى بكم فأدروا[3] على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم ولا تغلقوا الابواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا

---

(١) ينقاد وينقر (٢) حمر القوم على امر جمعهم (٣) اجروا

عليهم، وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم فاذا رايتم بها كلالة[1] فكفوا عن ذلك فان ذلك ابلغ فى جهاد عدوكم، ايها الناس انى اشهدكم على امراء الامصار انى لم ابعثهم الا ليفقهوا الناس فى دينهم ويقسموا عليهم فيئهم ويحكموا بينهم، فان اشكل عليهم شئ رفعوه الىّ.

١٢ - منشور القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك، اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متّبعة، فافهم اذا أُدلِيَ اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آسِ[2] بين الناس فى مجلسك و وجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك[3] ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من انكر، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او احلّ حرامًا ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه نفسك، وهديت فيه لرشدك، ان ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل، الفهمَ الفهمَ عندما تلجلج[4] فى صدرك مما ليس يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى صلى الله عليه وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى احبّها الى الله واشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا غائبًا او بيّنة

---

(١) كلالة ضعفا (٢) آس سوّ (٣) الحيف الجور والظلم (٤) تلجلج فى الصدر

امداً ينتهى اليه، فان احضر بينته اخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فانه انفى للشك واجلى للعمى وابلغ فى العذر المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً فى حد، او مجرّباً عليه شهادة زور، او ظنيناً[1] فى ولاء او قرابة، فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات واياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله به الاجر ويحسن به الذخر، فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه هتك الله ستره وابدى فعله والسلام عليك[2]

١٣ - عتاب وشكوى

خطب عثمان[3] بن عفان رضى الله عنه فقال :-

إن لكل شئ آفة، وان لكل نعمة عاهة[4] وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون، طغام[5] مثل النعام يتبعون اول

---

(١) ظنين متهم (٢) البيان والتبيين (٣) امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ذو النورين وثالث الخلفاء والامام المظلوم وخطبته هذه تمثل موقفه ومقامه فى ناسه وتصور اخلاقهم وتبين ضجره الشبيه بضجر سيدنا على بن ابى طالب من قومه رضى الله عنه (٤) عاهة مرض و مصيبة (٥) طغام اوغاد الناس للواحد والجمع والعامة تقول اوباش

ناعق، احب موارده‍م اليهم النازح[١] لقد اقررتم لابن الخطاب باكثر مما نقمتم على، ولكنه وقمكم[٢] وقمعكم[٣] وزجركم زجر النعام المخزمة[٤] والله انى لاقرب ناصرا واعز نفرا، واقمن[٥] ان قلت هلم، ان تجاب دعوتى من عمر، هل تفقدون من حقوقكم شيئا ؟ فمالى لا افعل فى الحق ما شاء؟ اذا فلم كنت اماما[٦]

الاصحاب الحاضرون

تحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره ان عليا[٧] رحمه الله انتهى اليه ان خيلا لمعوية وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبا حتى اتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الارض

---

(١) النازح البعيد ونزحت البئر قل ماؤها كثيرا او نفد (٢) وقم الرجل قهره و رده عن حاجته اقبح الرد (٣) قمعه صرفه عما يريد. قهره وذلله

(٤) خزم البعير جعل فى جانب منخره الخزام والخزامة وهى حلقة يشد فيها الزمام

(٥) اقمن اجدر واحرى (٦) البيان والتبيين، صبح الاعشى.

(٧) امير المومنين على بن ابى طالب رضى الله عنه حكيم الاسلام وخطيبه وفارسه ووارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الادب والبلاغة والعلم بالاخلاق و امامته فى ذلك لم تنازع قط. اخطب المسلمين وامام المنشئين واحد اصحاب الاساليب والمذاهب فى الانشاء واثاره الادبيه من خطب وكتب وحكم ما صح منها - جمال اللغة العربيه وبدائع النثر العربي وموضوع دراسة الاديب والباحث توفى شهيدا سنة ٤٠ ه

فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال

امّا بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله الذل وسيما(١) الخسف(٢) ودُيِّث(٣) بالصَّغار(٤) وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارًا وسرًّا واعلانًا وقلت لكم اغزوهم من قبل ان يغزوكم فوالذى نفسى بيده ما غُزِى قوم قط فى عُقر(٥) دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريًا حتى شُنَّت عليكم الغارات هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرًا ونساء والذى نفسى بيده لقد بلغنى انه كان يُدخَل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع احجالهما(٦) ورُعثهما(٧) ثم انصرفوا موفورين(٨) لم يُكلَم احد منهم كَلْمًا فلو ان امرءًا مسلمًا مات من دون هذا اسفًا ما كان عندى فيه ملومًا بل كان به عندى جديرًا يا عجبًا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الاحزان من تظافر(٩) هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى اصبحتم غرضًا تُرمَون ولا ترمُون ويُغار عليكم ولا تُغيرون ويُعصى الله فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا اوان قُرّ(١٠) وصرّ(١١) ان قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارّة

---

(١) سيما العلامة وسيم ولى (٢) الخسف النقيصة والذل (٣) ديّثه ذلّله
(٤) الصغار الذّل والضيم (٥) العقر وسط الدار (٦) الحجل الخلخال (٧) الرعث والرعثة القرط ج رعاث وجج رعث (٨) سالمين متكثرين (٩) الاجتماع والتعاون (١٠) و(١١) شدة البرد

القيظ[١] انظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر، يا اشباه الرجال ولا رجال و يا طغام الاحلام و يا عقول ربات الحجال والله لقد افسدتم على رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له في الحرب لله درهم ومن ذا يكون اعلم بها مني او اشد لها مراسا[٢] فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت[٣] اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع يقولها ثلثا[٤]

الاخوان الذاهبون

ومن خطبة كرم الله وجهه وقد قام اليه رجل من اصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فلم ندر أي الامرين ارشد، فصفق عليه السلام احدى يديه على الاخرى ثم قال :-

هذا جزاء من ترك العقدة، اما والله لو اني حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا، فان استقمتم هديتكم وان اعوججتم قومتكم وان ابيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن

---

(١) الحمارة شدة الحر والقيظ صميم الصيف (٢) معالجة وتجربة

(٣) نيفت زاد (٤) (الكامل للمبرد، البيان والتبيين، نهج البلاغة واللفظ للكامل)

والى من ؟ ازيد ان اداوى بكم وانتم دائى كناقش[١] الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها، اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوى[٢] وكلت النزعة[٣] باشطان[٤] الركى[٥] ! اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فاحكموه، وهيجوا الى القتال فولهوا[٦] وله اللقاح[٧] الى اولادها، وسلبوا السيوف اغمادها، واخذوا باطراف الارض زحفا زحفاً وصفاً صفا. بعض هلك، وبعض نجا، لا يبشرون بالاحياء، ولا يعزون بالموتى، مره[٨] العيون من البكاء، خمص[٩] البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الالوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، اولئك اخوانى الذاهبون! فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدى على فراقهم[١٠]

كيف هاجر النبى صلى الله عليه وسلم

ان عائشة[١١] زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لم اعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية فلما ابتلى المسلمون خرج ابوبكر مهاجرًا

---

(١) نقش الشوكة من رجله استخرجها (٢) الدوى المحيق (٣) نزع الدلو بالدلو جذبها واستقى بها
(٤) الشطن الحبل (٥) الركية البئر ذات الماء (٦) وله حزن وفزع وحن
(٧) اللقحة المرأة المرضعة (٨) مرهت عينه فسدت وابيضت بواطن اجفانه،
(٩) خميص البطن ضامره (١٠) نهج البلاغة (١١) حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت خليفته ابى بكر الصديق رضى الله عنه من اكبر فقهاء الصحابة عاشت خمسًا وستين سنة واقامت فى صحبته صلى الله عليه وسلم ثمانية اعوام وخمسة اشهر توفيت فى سنة سبع وخمسين وقيل فى سنة ثمان وخمسين

بخوارض الحبشة حتى اذا بلغ بَرْكَ الغِمَاد[1] لقيه ابن الدُّغُنَّة و هو سيد القارة[2] فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض واعبد ربي قال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يَخرُج و لا يُخْرَج انك تكسب المُعدِم[3] وتصل الرحم وتحمل الكَلّ[4] وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جارٌ ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش فقال لهم ان ابا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضَّيف ويعين على نوائب الحق فلم تُكَذِّب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى[5] مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّف[6] عليه نساء المشركين وابناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر

---

(١) موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن (٢) قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة (٣) اي تكسب غيرك المال المعدوم (٤) الثقل وهو من الكلال الذي هو الاعياء اي تعاين الضعيف المنقطع (٥) ابتنى مسجدا اي بنى لنفسه (٦) اي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر

رجلا بكّاء لايملك عينيه[1] اذا قرأ القرآن وافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابابكر بجوارك على ان يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلوة والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه فى داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك[2] ولسنا مقرين لابى بكر رضى الله عنه الاستعلان قالت عائشة رضى الله عنها فاتى ابن الدغنة الى ابى بكر فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الىّ ذمتى فانى لا احب ان تسمع العرب انى اخفرت فى رجل عقدت له فقال ابوبكر فانى ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى اريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين[3] وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابوبكر رضى الله عنه قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك[4] فانى ارجو ان يؤذن لى فقال ابوبكر رضى الله عنه وهل ترجوا ذلك بابى انت قال نعم فحبس ابوبكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق

---

(١) اى لايستطيع امساكهما عن البكاء (٢) الاخفار هو نقض العهد

(٣) اللابة الحرة ارض ذات حجارة سود (٤) اى على مهلك

السمر وهو الخبط[١] اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضى الله عنها فبينما نحن يوما جلوس فى بيت ابى بكر رضى الله عنه فى نحر الظهيرة[٢] قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا[٣] فى ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فداء له ابى وامى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابى انت يا رسول الله قال فانى قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر رضى الله عنه الصحابة[٤] بابى انت يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر رضى الله عنه فخذ بابى انت يا رسول الله احدى راحلتى هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما احث[٥] الجهاز وصنعنا لهما سفرة فى جراب فقطعت اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابى بكر وهو غلام شاب ثقف[٦] لقن[٧] فيدلج[٨] من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت[٩] فلا يسمع امرا يكتادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر

---

(١) ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر (٢) اول الزوال (٣) اى مغطيا راسه
(٤) اى اريد المصاحبة او اطلبها (٥) اى اسرعه (٦) الثقف الحاذق الفطن
(٧) اللقن السريع الفهم (٨) ادلج الرجل اذا سار الليل فى اوله وقيل فى كله وادلج بتشديد الدال اذا سار فى آخره (٩) اى كمن بات بمكة يظهر ذلك للكفار

ذلك حين يختلط الظلام فيرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر منحة[1] من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل[2] وهو لبن منحتهما ورضيفهما[3] حتى ينعق[4] بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه رجلا من بنى الدُّئل وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خرّيتا والخِرّيت الماهر بالهداية قد غمس[5] حِلفا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما و واعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيره والدليل فاخذ بهم على طريق السواحل قال ابن شهاب واخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن اخى سراقة بن مالك بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضي الله عنه دية كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى قد رايت آنفا

---

(١) شاة تحلب اناءًا بالغداة واناءًا بالعشى (٢) الرسل اللبن الطرى
(٣) الرضيف والمرصوف مايشوى على الرضف وهى الحجارة المحماة والمراد هنا اللبن الذى وضعت فيه الحجارة المحماة لينعقد وتزول وخاوته (٤) ينعق بها يصيح بها
(٥) يريد انه كان حليفا لهم واخذ بنصيب من عقدهم وكانوا اذا تحالفوا غمسوا ايديهم فى دم او خلوق او نحوهما من شىء فيه تلوين فيكون ذلك تاكيد الحلف

أسودة[١] بالساحل أراها محمداً واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم
ولكنك رايت فلاناً وفلاناً انطلقوا باعيننا[٢] ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت
فامرت جاريتى ان تخرج بفرسى وهى من وراء اكمة[٣] فتحبسها علىّ واخذت
رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه[٤] الارض وخفضت عاليه حتى
اتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب[٥] بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى
فخررت عنها فقمت فاهويت يدى الى كنانتى فاستخرجت منها الازلام[٦]
فاستقسمت بها اضرهم ام لا فخرج الذى اكره فركبت فرسى وعصيت الازلام
تقرب بى حتى اذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت
وابو بكر يكثر الالتفات ساخت[٧] يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت
عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر
يديها غبار ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى
اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى
حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله ﷺ
فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم
وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآنى[٨] ولم يسالانى الا ان قال اخف عنا

---

(١) اسودة اشخاصا (٢) اى فى نظرنا ومعاينتنا (٣) الاكمة الرابية المرتفعة من الارض
(٤) الزج الحديد فى اسفل الرمح (٥) التقريب سير دون العدو (٦) الزلم سهم لا ريش عليه
ولا نصل وكان العرب فى الجاهلية يستقسمون بها (٧) اى غاصت ودخلت (٨) اى لم يأخذا
منى شيئاً ولم ينقصا من مالى

فسألته ان يكتب لى كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من
ادم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا
قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر
ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة[1]
فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى[2] رجل من
يهود على اطم[3] من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مبيضين[4] يزول بهم السراب[5] فلم يملك اليهودى ان قال باعلى صوته يا
معاشر العرب هذا جدكم[6] الذى تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح
فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى
نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف[7] وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام
ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء
من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى ابا بكر حتى اصابت
الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) وقت استواء الشمس (٢) اشرف وطلع (٣) بضمتين القصر وكل حصن مبنى بالحجارة (٤) اى لابسين ثيابا بيضا (٥) اى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له وقيل اى ظهرت حركتهم فيه للعين (٦) اى حظكم وصاحب دولتكم (٧) اى بقباء وكان نزوله على كلثوم بن الهدم

فی بنی عمرو بن عوف بضع عشرة لیلة واسس المسجد الذی أسس علی التقوی وصلی فیه رسول الله صلی الله علیه وسلم ثم رکب راحلته فسار یمشی معه الناس حتی برکت عند مسجد الرسول صلی الله علیه وسلم بالمدینة وهو یصلی فیه یومئذ رجال من المسلمین وکان مربدًا[1] للتمر لسهیل و سهل غلامین یتیمین فی حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم حین برکت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلی الله علیه وسلم الغلامین فساومهما بالمربد لیتخذه مسجدًا فقالا لا بل نهبه لك یا رسول الله م فابی رسول الله صلی الله علیه وسلم ان یقبله منهما هبة حتی ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا و طفق رسول الله صلی الله علیه وسلم ینقل معهم اللبن[2] فی بنیانه و یقول وهو ینقل اللبن هذا الحمال[3] لا حمال خیبر هذا ابر ربنا واطهر و یقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل[4] بشعر رجل من المسلمین لم یسم لی قال ابن شهاب ولم یبلغنا فی الاحادیث ان رسول الله صلی الله علیه وسلم تمثل ببیت شعر تام غیر هذه الابیات[5]

---

(١) ای الموضع الذی یجمع فیه التمر (٢) المضروب من الطین مربعًا للبناء

(٣) الحمال والحمل بمعنی ای لیس کحمل خیبر من التمر والثمر و ربنا بالنصب منادی

(٤) تمثل ای انشد بیتًا (٥) الجامع الصحیح للبخاری الجزء الاول باب هجرة النبی صلی الله علیه وسلم واصحابه الی المدینة

١٨ـ صلح الحديبية

عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحُدَيبية[١] حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد[٢] بالغَمِيم[٣] فى خيل لقريش طليعة[٤] فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة[٥] الجيش فانطلق يركض[٦] نذيرًا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية[٧] التى يُهبَط[٨] عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حَلْ حَلْ[٩] فألحّت[١٠] فقالوا خلأت[١١] القصواء[١٢] خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل[١٣] ثم قال والذى نفسى بيده لا يسألونى خطة[١٤] يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى

---

(١) الحديبية بتخفيف الياء وقد تشدد موضع قريب من مكة قرية سميت ببئر هناك او لشجرة واكثرها فى الحرم . وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة وهو المعنى بقوله زمن الحديبية ـ

(٢) القائد الاسلامى المعروف وكان يومئذٍ كافرًا (٣) الغميم وادٍ بديار حنظلة

(٤) طليعة اى مقدمة الجيش (٥) القترة الغبار الاسود (٦) اى يضرب برجله دابته استعجالا حال كونه منذرًا لقريش (٧) الجبل الذى عليه الطريق (٨) يُهبَط عليهم اى على اهل مكة (٩) كلمة زجر للناقة (١٠) من الالحاح اى لزمت مكانها (١١) خلأت خلوءًا لم يبرح مكانه (١٢) القصواء اسم ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣) اى الله تعالى والمراد بالفيل فيل ابرهة (١٤) اى خصلة او اسراعتها

نزل باقصى الحديبية على ثمد[١] قليل الماء يتبرّضه[٢] الناس تبرضا فلم يلبثه[٣] الناس حتى نزحوه[٤] وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهمًا من كنانته ثمّ امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بُدَيل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة وكانوا عيبة[٥] نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا اعداد[٦] مياه الحديبيّة ومعهم العوذ[٧] المطافيل[٨] وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنّا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرّت بهم فان شاءوا مادّدتهم[٩] مدة ويخلّوا بينى وبين الناس فان اظهر[١٠] فان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جمّوا[١١] وان هم ابوا فوالذي نفسى بيده لاقاتلنهم على امرى هذا حتى تنفرد سالفتى[١٢] ولينفذنّ الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا قال

---

(١) حفرة فيها ماء قليل (٢) اى ياخذونه قليلًا قليلًا (٣) اى لم يتركوه يلبث ذلك الماء طويلا (٤) اى لم يبقوا منه شيئا (٥) العيبة ما يوضع فيه الثياب لحفظها اى انهم موضع النصح له والامانة على سره (٦) جمع عد بالكسر والتشديد و هو الماء الذى لا انقطاع له (٧) العوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن (٨) المطافيل الامهات التى معها اطفالها (٩) اى جعلت بينى وبينهم مدة يتركون الحرب فيها (١٠) اغلب (١١) استراحوا (١٢) السالفة مقدم العنق وهو كناية عن القتل

انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم
ان نعرضه عليكم فعلنا قال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه
بشيء وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول
كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود
فقال اى قوم الست بالوالد قالوا بلى قال اولستم بالولد قالوا بلى قال
فهل تتهمونى قالوا لا قال الستم تعلمون انى استنفرت[1] اهل عكاظ
فلما بلّحوا[2] على جئتكم باهلى وولدى ومن اطاعنى قالوا بلى قال فان هذا
قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعونى آته قالوا ائته فاتاه فجعل
يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل
فقال عروة عند ذلك اى محمّد ارأيت ان استاصلت امر قومك هل
سمعت باحد من العرب اجتاح[3] اصله قبلك وان تكن الاخرى فانى
والله لارى وجوها وانى لارى اشوابا[4] من النّاس خليقا ان يفرّوا ويدعوك
فقال له ابوبكر امصص بظر اللات[5] انحن نفر عنه وندعه فقال من
ذا قالوا ابوبكر فقال اما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى
لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فكلما
كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) اى دعوتهم الى نصركم (٢) اى امتنعوا عن الاجابة (٣) استاصل
(٤) الاشواب الاخلاط من انواع شتى (٥) كلمة تقولها العرب عند الذم والمشاتمة
واللات اسم صنم لهم

ومعه السيف وعليه المغفر[١] وكلما اهوى[٢] عروة بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل[٣] السيف وقال اخّر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبه فقال اى غُدَر[٤] الست اسعى فى غدرتك وكان المغيرة صحب قومًا فى الجاهليه فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه فى شئ ثم ان عروة جعل يرمق[٥] اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة[٦] الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه[٧] واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدّون اليه النظر تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدًا والله ان تنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده

---

(١) قطعة من الدرع يلبسها المحارب تحت القلنسوه (٢) اهوى مال (٣) هو ما يكون اسفل القراب من فضة وغيرها (٤) غدر بضم المعجمة وفتح المهملة معدول من غادر (٥) يلحظ بمؤخر العين (٦) البصاق الغليظ (٧) بالفتح وهو الماء الذى يتوضأ به

وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها
فقال رجل من بنى كنانة دعونى آتيه فقالوا ائته فلما اشرف على النبى
صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم
يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما
رأى ذلك قال سبحان الله ماينبغى لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما
رجع الى اصحابه قال رأيت البدن قد قُلّدت (1) واُشعِرت (2) فما ارى
ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مِكرز بن
حفص فقال دعونى آتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبى
صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم
فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرنى ايوب
عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سُهّل لكم
من امركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل ابن عمرو فقال
هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الكاتب
فقال النبى صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله
ما ادرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون
والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهمّ

---

(1) التقليد ان يعلق فى عنق البدن شئ ليعلم انها هدى (2) الاشعار الطعن فى سنام الهدى
بحيث يسيل الدم منه ليكون علامة انه هدى

ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله م فقال سهيل والله لو كنا
نعلم انك رسول الله م ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن
اكتب محمد بن عبد الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله
وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله
لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به
فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أُخذنا ضُغطة[1] ولكن ذلك
من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل
وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله
كيف يُردُّ الى المشركين وقد جاء مسلما فبيناهم كذلك اذ دخل ابو جندل
بن سهيل بن عمرو يرسف[2] فى قيوده وقد خرج من اسفل مكة حتى
رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك
عليه ان ترده الىّ فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد
قال فوالله اذن لا اصالحك على شئ ابدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم
فَأَجِزْه[3] لى فقال ما انا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال
مِكْرَز بل قد اجزناه لك قال ابو جندل اى معشر المسلمين ارد الى المشركين
وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عُذِّب عذابا شديدا

---

(١) اى قهرا (٢) اى يمشى مشيا بطيئا بسبب القيد (٣) اى امض لى فعلى فيه

فى الله قال عمر بن الخطاب فاتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم فقلت
الست نبى الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال
بلى قلت فلم نعطى الدنيئة[١] فى ديننا اذن قال انى رسول الله ص ولست اعصيه
وهو ناصرى قلت اوليس كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى
فاخبرتك انا نأتيه العام ؟ قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال
فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبى الله ص حقا قال بلى قلت السنا على
الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنيه فى ديننا اذن قال
ايها الرجل انه رسول الله ص وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه[٢]
فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انا سنأتى البيت ونطوف به
قال بلى افاخبرك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال
الزهرى قال عمر فعملت لذلك اعمالا[٣] قال فلما فرغ من قضية الكتاب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال
فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم
احد دخل على ام سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت ام سلمة يا
نبى الله ص اتحب ذاك اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك
وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه

---

(١) الدنيئة النقيصة (٢) الغرز هو للابل بمنزلة الركاب للسرج اى صاحبه ولا تفارقه
(٣) اى عملت لذلك التوقف فى الامتثال الذى فرط منى اعمالا صالحة تكفر عنى

ودعا حالقه فحلقه فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا
حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله يا
اَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْٓا اِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ حتى بلغ بِعِصَمِ[١] الْكَوَافِرِ
فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوج احدهما معاوية
بن ابى سفيان والاخرى صفوان بن امية ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم
الى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فارسلوا فى طلبه رجلين
فقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا
الحليفة فنزلوا ياكلون من عدتهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله
انى لارى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الاخر فقال اجل والله انه
لجيد لقد جربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارنى انظر اليه فامكنه منه
فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راه لقد رأى هذا ذُعْرًا[٢] فلما انتهى الى
النبى صلى الله عليه وسلم قال قُتِل والله صاحبى وانى لمقتول. فجاء
ابو بصير فقال يا نبى الله قد والله اوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم
ثم انجانى الله منهم قال النبى صلى الله عليه وسلم ويل امه مِسْعَرُ[٣] حرب
لو كان له احد[٤] فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سِيفَ[٥]
البحر قال وينفلت منهم ابو جندل بن سهيل فلحق بابى بصير فجعل

---

(١) العصمة ما يعتصم من عقد او سبب (٢) اى خوفا (٣) مسعر حرب مثيرها ومحركها
(٤) اى لو قدر له احد ينصره (٥) بكسر السين اى ساحله

لايخرج من قريش رجل قد اسلم الالحق بابى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير(١) خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل فمن اتاه فهو امن فارسل النبى صلى الله عليه وسلم اليهم فانزل الله وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ حتى بلغ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت وقال عُقيل عن الزهرى قال عروة فاخبرتنى عائشة ؓ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن و بلغنا انه لما انزل الله ان يردوا الى المشركين ما انفقوا على من هاجر من ازواجهم وحكم على المسلمين ان لا يمسكوا بعصم الكوافر ان عمر طلق امرأتين قريبة بنت ابى امية وبنت جرول الخزاعى فتزوج قريبة معوية وتزوج الاخرى ابوجهم فلما ابى الكفار ان يقروا باداء ما انفق المسلمون على ازواجهم انزل وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ والعقب ما يودى المسلمون الى من هاجرت امرأته من الكفار فامران يعطى من ذهب له زوج من المسلمين ما انفق من صداق نساء الكفار اللاتى هاجرن وما نعلم ان احدا من المهاجرات ارتدت بعد ايمانها وبلغنا ان ابا بصير بن اسيد الثقفى

---

(١) العير القافلة

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا مهاجرا في المدة فكتب الاخنس
بن شريق الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله ابا بصير فذكر الحديث"(١)

ابتلاء كعب بن مالك(٢) رض

قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها
الا في غزوة تبوك غير اني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب
احد تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش
حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا(٣) على الاسلام وما احب
ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس منها، كان من خبري
اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله
ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت
تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل
سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى(٤) للمسلمين امرهم ليتاهبوا

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري الجزء الاول باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب
(٢) كعب بن مالك الانصاري الخزرجي من بني سلمة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم واحد شعرائه
شهد المشاهد كلها الا بدرا وتبوكا توفي سنة خمسين من الهجرة (٣) تواثقنا اي تعاهدنا
(٤) جلى كشف واوضح

أُهْبَةَ[1] غزوهم فاخبرهم بوجهه الذى يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن انه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحى الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكى اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا فاقول فى نفسى وانا قادر عليه فلم يزل يتمادى[2] بى حتى اشتد بالناس الجِدُّ فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيئا فقلت اتجهز بعده بيوم او يومين ثم الحقهم فغدوت بعد ان فصلوا لاتجهز فرجعت ولم اقض شيئا ثم غدوت فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل بى حتى اسرعوا وتفارط[3] الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك فكنت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم احزننى انى لا ارى الا رجلا مغموصا[4] عليه النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكا فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه

---

(١) الاهبة العدة والجهاز وتاهب اهبته اى اخذ عدته وتجهز (٢) يستمر

(٣) تفارط الشئ تاخر وقته يقال تفارطت الصلاة عن وقتها اذا تاخرت عنه

(٤) رجل مغموص عليه مطعون عليه

برداه ونظره فى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا
رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كعب بن مالك فلما بلغنى انه توجه قافلا حضرنى همى وطفقت
اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك
بكل ذى رأى من اهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل
قادما زاح[1] عنى الباطل وعرفت انى لن اخرج منه ابداً بشئ فيه كذب
فاجمعت صدقه[2] واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم
من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل
ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا
بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم
واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم
المُغضَب ثم قال تعال فجئت امشى حتى جلست بين يديه فقال لى
ما خلّفك الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى انى والله لو جلست عند
غيرك من اهل الدنيا لرايت ان ساخرج من سخطه بعذر ولقد أُعطيتُ
جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب
ترضى به عنى ليوشكن الله ان يسخطك على ولئن حدثتك حديث
صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لى

---

(١) زاح زال (٢) اجمعت صدقة اى عزمت ان اصدقه

من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا يؤنبونى[1] حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا معى احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن امية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلثة[2] من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الارض فما هى التى اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلوة مع المسلمين واطوف فى الاسواق ولا يكلمنى احد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه

---

(١) يؤنبونى اى يلوموننى اشد اللوم (٢) ايها الثلثة بالرفع بمعنى الاختصاص اى مخصصين من بين سائر الناس۔

وهو فى مجلسه بعد الصلوة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد
السلام على ام لا ثم اصلى قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت
على صلاتى اقبل الىّ واذا التفت نحوه اعرض عنى حتى اذا طال علىّ
ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت[1] جدار حائط ابى قتادة
وهو ابن عمى واحب الناس الىّ فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام
فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمنى احب الله ورسوله
فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال
الله ورسوله اعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار
قال فبينا انا امشى بسوق المدينة اذا نبطى من انباط اهل الشام
ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب
بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع الى كتابا
من ملك غسان فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنى ان صاحبك
قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك
فقلت لما قرأتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته[2]
بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك
ان تعتزل امرأتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها

تسور الحائط وعليه صعد عليه (٢) سجرته بها احرقته

ولاتقربها وارسل الى صاحبىّ مثل ذلك فقلت لامراتى الحقى باهلك
فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذ الامر قال كعب فجاءت امرأة
هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال
بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن
لايقربك قالت انه والله ما به حركة الى شئ والله ما زال يبكى منذ كان
من امره ما كان الى يومه هذا فقال لى بعض اهلى لو استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك كما اذن لامرأة هلال بن امية
ان تخدمه فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرينى
ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب
فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلوة الفجر صبح خمسين ليلة
وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التى ذكر الله
قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت
صارخ اوفى على جبل سلع باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال
فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرجٌ واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتوبة الله علينا حين صلى صلوة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب
قبل صاحبى مبشرون وركض الى رجل فرسا وسعى ساع من اسلم
فاوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت
صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما

يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيتلقانى الناس فوجا فوجا يهنئونى بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك
قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله
الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى والله
ما قام الى رجل من المهجرين غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق
وجهه من السرور ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك امك قال قلت
امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال لا بل من عند الله
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سُرّ استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر و
كنّا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله
ان من توبتى ان انخلع[1] من مالى صدقة الى الله والى رسول الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك
قلت فانى امسك سهمى الذى بخيبر فقلت يا رسول الله ان الله انما
نجانى بالصدق وان من توبتى ان لا أحدث الا صدقا ما بقيت فوالله
ما اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا احسن مما ابلانى وما تعمدت
منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا كذبا

---

(١) انخلع اخرج

وانى لارجوان يحفظنى الله فيما بقيت وانزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ الى قوله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ فوالله ماانعم الله على من نعمة قط بعد ان هدانى للاسلام اعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله قال للذين كذبوا حين انزل الوحى شر ما قال لاحد فقال الله تبارك وتعالى سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ الى قوله فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ "(١)

حديث الافك

قالت عائشة رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع(٢) بين ازواجه وايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة رض فاقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل فى هودج وانزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شانى اقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار(٣)

---

(١) حديث كعب بن مالك كتاب المغازى صحيح البخارى (٢) اقرع ضرب القرعة

(٣) جزع اليمانى و ظفار مدينة باليمن

قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين كانوا يُرَحِّلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت اركب عليه وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن[1] ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العُلقة[2] من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا انا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطّل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فاصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه[3] حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى و والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته حتى اتينا الجيش موغرين[4] فى نحر الظهيرة وهم نزول قالت فهلك من هلك وكان الذى تولى كِبْر الافك عبد الله بن ابى ابن سلول قال عروة اخبرت انه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه[5] وقال عروة ايضاً لم يسم من اهل

---

(١) لم يثقلن بكثرة اللحم والشحم (٢) القليل (٣) بقوله إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
(٤) اى داخلين (٥) اى يستخرجه بالبحث

الافك ايضاً الاحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثه وحمنة بنت جحش في ناس اخرين لاعلم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى وان كبُر ذلك يقال له عبد الله بن ابيّ ابن سلول قال عروة كانت عائشة تكره ان يُسبّ عندها احسان وتقول انه الذي قال :-

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قالت عائشة رض فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً والناس يفيضون في قول اصحاب الافك لا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت[1] فخرجت معي ام مسطح قبل المناصع[2] وكان متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في البرية قبل الغائط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رُهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر

---

(١) نقه فلان من مرضه اذا صح منه وفيه ضعف فهو ناقه (٢) المناصع المواضع يتخلى فيها للبول او قضاء الحاجة والواحد منصع

خالة ابى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب
فاقبلت انا وام مسطح قِبَل بيتى حين فرغنا من شاننا فعثرت ام مسطح
فى مرطها(١) فقالت تَعِسَ مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا
شهد بدرا فقالت اى هنتاه(٢) او لم تسمعى ما قال قالت وقلت ما قال
فاخبرتنى بقول اهل الافك فازددت مرضا على مرضى فلما
رجعت الى بيتى دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف
تيكم فقلت له اتاذن لى ان آتى ابوىّ قالت واريد ان استيقن الخبر
من قبلهما قالت فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى
يا امتاه ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هونى عليك فوالله
لقل ما كانت امرأة قط وضيئة(٣) عند رجل يحبها لها ضرائر(٤) الا كثرن
عليها قالت فقلت سبحان الله او لقد تحدث الناس بهذا قالت
فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لى(٥) دمع ولا اكتحل بنوم ثم
اصبحت ابكى قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن ابى طالب
واسامة بن زيد حين استلبث(٦) الوحى يسالهما ويستشيرهما فى فراق
اهله قالت فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى

---

(١) المرط كل ثوب غير مخيط، كساء من صوف او نحوه يؤتزر به ج مروط
(٢) يا بلهاء كانها نسبتها الى قلة معرفة بمكائد الناس وشرورهم (٣) وضيئة حسنة حظيه
(٤) ضرائر جمع ضرة امرأة الزوج يقال دب اليهم داء الضرائر اى الحسد
(٥) رقأ الدمع اى الدم جف وانقطع (٦) استلبث الشئ استبطأه

يعلم من براءة اهله وبالذى يعلم لهم فى نفسه فقال اسامة اهلك
ولا نعلم الا خيرا۔ واما علىٌّ فقال يا رسول الله ﷺ لم يضيق الله عليك
والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله
ﷺ بريرة فقال اى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت
له بريرة والذى بعثك بالحق ما رايت عليها امرا قط اغمصه[1] غير انها
جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتاتى الداجن[2] فتاكله
قالت فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر[3] من عبد الله
بن ابى وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل
قد بلغنى عنه اذاه فى اهلى والله ما علمت على اهلى الا خيرا و لقد
ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على اهلى الا معى قالت
فقام سعد اخو بنى عبد الاشهل فقال انا يا رسول الله ﷺ اعذرك
فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج
امرتنا ففعلنا امرك قالت وقام رجل من الخزرج و
كانت ام حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد
الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية

---

(١) اغمصه اطعن به عليها (٢) دجن الحمام وغيره الف البيوت واستانس فهو
داجن والمراد هنا الشاة (٣) اى قال من يقوم بعذرى ان كافاته على قبح فعاله ولا يلمنى
وقيل معناه من ينصرنى

فقال لسعد كذبت لعمرو الله لانقتله ولا تقدر على قتله. ولو كان
من رهطك ما احببت ان يقتل فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد
فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمرو الله لنقتلنه فانك منافق تجادل
عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان
يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر قالت فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت فبكيت
يومى ذلك كله لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم قالت واصبح ابواى عندى
وقد بكيت ليلتين ويوما لا اكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع حتى انى لاظن
ان البكاء فالق كبدى فبينا ابواى جالسان عندى وانا ابكى فاستأذنت
على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى، قالت فبينا نحن
على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت
ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى
اليه فى شانى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
جلس ثم قال اما بعد :- ياعائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا
فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفرى الله
وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب . تاب الله عليه قالت
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص[1] دمعى حتى ما احس

---

(١) كف وانقطع

منه قطرة فقلت لابى اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى فيما قال فقال
ابى والله ما ادرى ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى اجيبى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت امى والله ما ادرى ما اقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا جارية حديثة السن لا اقرأ من
القرآن كثيرا انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر
فى انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن
اعترفت لكم بامر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا اجد لى
ولكم مثلا الا ابا يوسف حين قال فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
مَا تَصِفُونَ ثم تحولت واضطجعت على فراشى والله يعلم انى حينئذ
بريئة وانه مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت اظن ان الله منزل فى
شأنى وحيا يتلى لشأنى فى نفسى كان احقر من ان يتكلم الله فى بامر
ولكن كنت ارجوا ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئنى الله بها
فوالله ما رام[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج احد
من اهل البيت حتى انزل عليه فاخذه ما كان ياخذه من
البرحاء[2] حتى انه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان[3] وهو فى يوم
شات[4] من ثقل القول الذى انزل عليه قالت فسرى[5] عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت اول كلمة تكلم بها ان قال يا عائشة

---

(١) فارق وبرح (٢) الشدة (٣) الجمان اللؤلؤ والواحدة جمانة (٤) بارد (٥) زال وانكشف

اما الله فقد برأك قالت فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله
لا اقوم اليه فانى لا احمد الا الله قالت وانزل الله تعالى إِنَّ الَّذِيْنَ
جَاؤُا بِالْإِفْكِ العشر الآيات ثم انزل الله هذا فى براءتى قال ابوبكر
الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله
لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشة ما قال فانزل
الله وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ الى قوله غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ قال ابوبكر
الصديق بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة
التى كان ينفق عليه، وقال والله لا انزعها منه ابدًا قالت عائشة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش عن امرى
فقال لزينب ماذا علمت اورأيت فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
احمى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خيرا قالت عائشة رض وهى
التى تساميني[1] من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع
قالت وطفقت اختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك[2]

---

(١) تضاهينى و تفاخرنى بجمالها و مكانها عند النبى صلى الله عليه وسلم
(٢) صحيح البخارى الجزء الثانى كتاب المغازى

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة طويل السكت لايتكلم فى غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم كلامه فصل لافضول ولاتقصير، ليس بالجافى والاالمهين، يعظم النعمة وان دقت لايذم منها شيئا، غيرانه لم يكن يذم ذواقا[1] ولايمدحه ولاتغضبه الدنيا ولا ماكان لها[2] فاذا تعدى الحق لم يهتم لغضبه شئ حتى ينتصر له، لايغضب لنفسه ولاينتصر لها، اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها وضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى واذا غضب اعرض واشاح[3]، واذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم يفتر[4] عن مثل حب الغمام وكان فخما مفخما يتلالأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر مسيح القدمين[5] ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا يخطو تكفيا[6] ويمشى هونا ذريع[7] المشية، اذا مشى كانما ينحط من صبب

---

(١) الذواق المأكول والمشروب فعال بمعنى مفعول من الذوق ويقع على المصدر والاسم (٢) اى ولايغضبه ايضا ماكان له علاقة بالدنيا

(٣) اعرض جدا (٤) افتر فلان ضاحكا اى بدا اسنانه وحب الغمام هوالبرد بفتحتين

(٥) املسهما (٦) يتكفأ فلان اى يتمايل الى قدام (٧) ذريع المشية سريعها

واذا التفت التفت جميعًا خافض الطرف نظره الى الارض اكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه يبدأ من لقى بالسلام[1]، لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، ما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد فى سبيل الله ولا ضرب خادمًا ولا امرأةً، ما رأيته منتصرًا من مظلمة ظُلِمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيئ، فاذا انتُهك من محارم الله تعالى شيئ كان من اشدّهم فى ذلك غضبًا وما خُيِّر بين امرين الا اختار ايسرهما (واذا دخل بيته) كان بشرًا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه[2]

كان يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى على احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه[3] معتدل الامر غير مختلف ولا يغفل مخافة ان يغفلوا ويملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن

---

(1) عن الحسن بن على عن خاله هند بن ابى هالة (2) عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رض (3) اى يحقره ويضعف شأنه

الحق ولايجاوزه الذين يلونه منه، الناس، خيارهم، افضلهم
عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة
وموازرة، لايقوم ولايجلس الاعلى ذكر واذا انتهى الى قوم جلس
حيث ينتهى به المجلس ويامر بذالك، يعطى كل جلسائه بنصيبه
لايحسب جليسه ان احدًا اكرم عليه منه، من جالسه او فاوضه
فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ومن سأله حاجته لم يرده
الابها او بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم
ابًا وصاروا عنده فى الحق سواءً، مجلسه مجلس علم وحياء وصبر
وامانة لاترفع فيه الاصوات ولاتؤبن[1] فيه الحرم[2] ولاتنثى[3] فلتاته
متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه
الكبير ويرحمون فيه الصغير ويوثرون ذا الحاجة ويحفظون
الغريب[4].

كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولاصخاب ولافحاش ولاعياب ولامشاح[5] يتغافل عما لايشتهى
ولايؤيس منه ولايجيب فيه قد ترك نفسه من ثلاث المراء
والاكبار ومالايعنيه، وترك الناس من ثلاث كان لايذم

---

(١) لاتعاب (٢) بضم الحاء وفتح الراء جمع الحرمة وهى مالايحل وروى بضمتين
(٣) لاتشهر ولاتفضح زلات المجلس وبوادره (٤) عن الحسن بن علىؓ عن الحسين بن علىؓ
عن على بن ابى طالب (٥) بخيل

احدًا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم اطرق جلسائه كانما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث اولهم[1] يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم ويقول اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه[2] ولا يقبل الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز[3] فيقطعه بنهى اوقيام

اجود الناس صدرًا و اصدق الناس لهجة والينهم عريكة[4] واكرمهم عشيرةً من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم[5]

---

(١) اى حديث افضلهم او كاول تكلمهم اى لا عن ملال وسآمة

(٢) الارفاد الاعطاء والاعانة

(٣) اى يتجاوز عن الحد او الحق

(٤) طبيعة

(٥) عن الحسن بن على عن الحسين بن على عن على رضى الله عنهم ملتقطا من جزء الشمائل للترمذى

صفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رجل لا يحب الباطل وليس من الباطل في شئ ان الله جعل الحق على لسانه وقلبه وهو الفاروق فرّق الله به بين الحق والباطل[١] افضل (الناس) مقدرة وامتلاكهم لنفسه اشدّهم في حال الشدّة واسلسهم في حال اللين واعلمهم برأي ذوي الرأي، لا يتشاغل بما لا يعنيه، ولا يحزن لما ينزل به، ولا يستحي من التعلّم، ولا يتحيّر عند البديهة، قوي على الامور لا يخور لشئ منها احدة بعد وان ولا تقصير يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والطاعة[٢] رشيد الامر تنطق السكينة على لسانه وقلبه[٣] من رآه علم انه خلق غناءً! للاسلام كان والله احوذيا نسيج وحده[٤] قد اعدّ للامور اقرانها[٥] كان إسلامه فتحا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت امارته رحمة، وكان حصنا حصينا للاسلام ما زلنا اعزة منذ اسلم[٦] استخلف فاقام واستقام حتى ضرب[٧] الدين بجرانه[٨] انما كان مثل الاسلام

---

(١) اقوال النبي صلى الله عليه وسلم في عمر (٢) وصف ابي بكر لعمر (٣) من قول علي بن ابي طالب
(٤) يقال هو نسيج وحده اي منفرد لا نظير له (٥) من قول عائشة ام المؤمنين
(٦) من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٧) ضرب الدين بجرانه اي ثبت واستقر من قولهم ضرب البعير بجرانه والعنق جرانه اذا برك (٨) من قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه

ايامه مثل امر مقبل لم يزل فى اقبال فلما قتل ادبر فلم يزل فى ادبار[1] وان موته ثلم الاسلام ثلمة لا ترتق الى يوم القيمة[2]

كان جوادًا بالحق بخيلًا بالباطل يرضى من الرضى ويسخط من السخط لم يكن مدّاحًا ولا مغيابًا طيب الطرف عفيف الطرف[3] وقّافًا عند كتاب الله، وكان كالطير الحذرى الذى كانّ له بكل طريق شركًا[4] قليل الضحك لا يمازح احدًا مقبلا على شانه[5] اذا تكلم اسمع واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع وهو الناسك حقًّا[6] يمشى فى الاسواق ويطوف فى الطرقات ويقضى بين الناس فى قبائلهم ويعلمهم فى اماكنهم[7] رأيته خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم[8] وقدم الجابية[9] على جمل اورق[10] تلوح صلعته[11] للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامه رجلاه بين شعبتى رحله بلا ركاب وطاءه كساء

---

(١) من قول حذيفة بن اليمان رض (٢) من قول سعيد بن زيد رض

(٣) من قول عبد الله بن سلام (٤) من قول ابن عباس رض

(٥) من قول ابى رجاء العطاردى (٦) من قول الشفاء بنت عبد الله

(٧) من قول الشعبى (٨) زيد بن وهب (٩) موضع بالشام سافر اليه عمر خليفة

(١٠) الاورق الذى لونه لون الرماد (١١) مقدم راسه وقد سقط شعره

النجاني[1] ذو صوف هو ركابه اذا ركب وفراشه اذا نزل حقيبته[2] نمرة او شملة محشوة ليفا هي حقيبته اذا ركب ووسادته اذا نزل عليه قميص من كرابيس[3] قد رسم وتخرق جبنه[4]

صفة علي بن ابي طالب رض

عن ابي صالح قال، قال معاوية رض بن ابي سفيان لضرار بن ضمرة صف لي عليًا فقال او تعفيني قال بل صفه قال او تعفيني قال لا اعفيك قال اما اذا فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويتأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ماخشن ومن الطعام ماجشب[5] كان والله كاحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا اتيناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لانكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمه فان تبسم فعن مثل

---

(١) نسبة الى النجان موضع يعمل فيه الكساء (٢) الحقيبة ما يحمله الراكب خلفه والخريطة التي يضع فيها وراءه الزاد ونحوه (٣) جمع كرباس وهو الثوب الخشن والكلمة من الدخيل (٤) ملتقط من سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٥) جشب الطعام غلظ

اللولؤ المنظوم، يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله و لايبأس الضعيف من عدله واشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سجوفه[1] وغارت[2] نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم[3] ويبكى بكاء الحزين و كانى اسمعه وهو يقول يادنيا الى تعرضت ام لى تشوفت[4] هيهات هيهات غرى غيرى قد بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد و بعد السفر ووحشة الطريق

قال فذرفت دموع معاوية رضى الله عنه حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقى عبرتها ولا يسكن حزنها[5]

---

(١) سجوفه استاره (٢) سقطت وانخسفت

(٣) اللديغ او الجريح المشرف على الموت سموه به تفاؤلا بالسلامه

(٤) تشوف الى الشئ نظر واشرف وتطلع اليه

(٥) صفة الصفوة لابن الجوزى ج ١

عمر واة البنين

روى أسلم مولى عمر رضي الله عنه قال :-

خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة[1] واقم، حتى اذا كنا بصرار[2] اذا نار تؤرث[3]، فقال :-

- يا أسلم اني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم[4] الليل والبرد، انطلق بنا

فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون[5]، فقال عمر :-

- السلام عليكم يا أصحاب الضوء (وكره ان يقول النار)

قالت المرأة :- وعليك السلام :-

فقال : أأدنو ؟

قالت : أدن بخير أو دع

فقال : ما بالكم ؟

قال : قصر بنا الليل والبرد

قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟

---

(١) الحرة الارض ذات حجارة نخرة سود كأنها احرقت بالنار، وواقم موضع بالمدينة وبه حرة (٢) الصرار المكان المرتفع (٣) توقد

(٤) قصر به الليل حبسه (٥) يتضاغون يتضورون ويصيحون

قالت : الجوع !

قال : وأى شئ فى القدر ؟

قالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر

فقال : اى رحمك الله ، مايدرى عمر بكم ؟

قالت : يتولى امورنا ويغفل عنا !

فاقبل علىّ فقال : انطلق بنا

فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الدقيق ، فاخرج عدلا وزاد فيه كُبَّة[1] شحم

ثم قال : احمله علىّ

قلت : انا احمله عنك

قال : احمله علىّ (مرتين او ثلاثا كل ذلك اقول انا احمله عنك)

وقال آخر ذلك :-

- انت تحمل عنى وزرى يوم القيامة ؟ لا ام لك !

فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه نهرول حتى اتينا

اليها ، فالقى ذلك عندها واخرج من الدقيق شيئا وجعل يقول :

- ذرّى[2] علىّ وانا أحرك لك

وجعل ينفخ تحت القدر (وكان ذا لحية عظيمة) فجعلت

انظر الى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج ادم القدر وقال :

---

(١) الكبة الثقل (٢) ذرّ الشئ نثره ورشه

ابغيني شيئا

فأتته بصحفة[1] فافرغها فيها وجعل يقول:

أطعميهم وانا اسطح لك

فلم يزل حتى شبعوا. ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول:

- جزاك الله خيرا، انت اولى بالامر من امير المومنين فيقول قولي خيرا، انك اذا جئت امير المومنين وجدتني هناك انشاء الله

ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض مربض السبع فجعلت اقول:

- ان لك لشأنا غير هذا

وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدأوا، فقام وهو يحمد الله، ثم اقبل علي فقال:

يا اسلم ان الجوع اسهرهم وابكاهم فاحببت الا انصرف حتى ارى ما رأيت فيهم[2]

---

(١) الصحفة قصعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة ج صحاف

(٢) الكامل لابن الاثير و تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي باختلاف بعض الالفاظ

مقتل عمر بن الخطاب

قال عمرو بن ميمون: اني لقائم ما بيني وبينه - يعني عمر - الا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما غداة اصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا، حتى اذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ بسورة يوسف او النحل او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول

- قتلني او اكلني الكلب :

حين طعنه فطار العلج[1] بسكين ذات طرفين، لا يمر على احد يميناً ولا شمالاً الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً[2]، فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه

وتناول عمر رضي الله عنه يد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وقدمه (اي للامامة) فمن يلي عمر فقد رأى الذي ارى و

---

(١) العلج الرجل الضخم القوي من كفار العجم وقد يطلق على الكافر عموما وهو هنا ابو لؤلؤة واسمه فيروز وكان مجوسيا

(٢) البرنس قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الاسلام، وكل ثوب يكون غطاء الراس جزءاً منه متصلا به

امانواحى المسجد فانهم لايدرون غيرانهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سُبْحَانَ الله، سُبْحَانَ الله فصلّى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال عمر

- يا ابن عباس، انظر من قتلني ؟

قال فجال (ابن عباس) ساعة ثم جاء فقال

- غلام المغيرة

قال الصَّنَع[1] ؟ قال نعم !

قال قاتله الله . لقد امرت به معروفاً

ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعى الاسلام قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة [2]

وكان العبّاس ؓ اكثرهم رقيقاً، فقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ان شئت فعلت (اى ان شئت قتلنا)

قال كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم فاحتُمِلَ الى بيته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فانطلقنا معه . قال :

وكأنَّ النّاس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول :

---

(١) رجل صنع بالتحريك وصنع بالسكون وصنع بكسر الصاد حاذق فى الصنعة ماهر فى عمل اليدين

(٢) كان عمر رضى الله عنه يكره كثرة سبايا الفرس فى مركز الاسلام وعاصمة الخلافة ويحذر من اختلاطهم بالمسلمين وافسادهم

لاباس به

وقائل يقول :- اخاف عليه

فأُتِي بنبيذٍ فشربه فخرج من جوفه ، ثم اتى بلبن فشرب فخرج من جوفه، فعرفوا انه ميت

فدخلنا عليه وجاء الناس فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شابٌ فقال :-

ـــ ابشر يا امير المومنين ببشرى الله، لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم فى الاسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة .

فقال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي، فلما ادبر اذا ازاره يمسُّ الارض فقال :

- ردّوا عليّ الغلام

فقال : ياابن اخي، ارفع ثوبك، فانه انقى لثوبك، واتقى لربك

ـــ ياعبد الله بن عمر، انظر ما عليّ من الدّين

فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفاً اونحوه قال ان وفى له مال آل عمر فادّه من اموالهم، والا فسل فى بنى عدى بن كعب[1] فان لم تف اموالهم فسل فى قريش، ولا تعدُهم الى غيرهم فادّ

---

(١) قبيلة عمر بن الخطاب

عنى هذا المال. انطلق الى عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها فقل يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل امير المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين اميرا، وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه

قال فسلّم فاستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستاذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت

- كنت اريده لنفسى ولاوثرن به اليوم على نفسى

فلما اقبل قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء

فقال: ارفعونى، فاسنده رجل اليه

فقال: مالديك

قال الذى تحب يا امير المؤمنين، قد اذنت

فقال الحمد لله، ما كان شيئ اهمّ الىّ من ذلك، فاذا انا قُبِضْتُ فاحملونى ثم سلّم فقل: يستاذن عمر بن الخطاب فان اذنت لى فادخلونى، وان ردّتنى فردّونى الى مقابر المسلمين

وجاءت ام المؤمنين حفصة رضي الله عنها والنساء تسيرمعها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستاذن الرجال فولجت داخلالهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا

- اوص يا امير المؤمنين، استخلف

قال ما اجد احدًا احق بهذا الامر من هؤلاء النفر او الرهط الذين

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض

فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن بن

عوف رضي الله عنهم وقال

ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيئ (كهيئة

التعزية له) فأن اصابت الامرة سعدًا فهو ذاك، والا فليستعن به

ايكم ما أمِّرَ، فاني لم اعزله من عجز ولاخيانة

وقال اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الاولين ان يعرف

لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصيه بالانصار خيرًا الذين

تبوّؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفى

عن مسيئهم، واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام

وجباة المال وغيظ العدو وان لايوخذ منهم الافضلهم عن

رضاهم، واوصيه بالاعراب خيرًا فانهم اصل العرب ومادة

الاسلام ان يوخذ من حواشى اموالهم وترد على فقرائهم، واوصيه

بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان

يقاتل من وراءهم ولايكلفوا الاطاقتهم

فلما قُبِضَ خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر

قال يستأذن عمر بن الخطاب، قالت (اى عائشة)

- ادخلوه فادخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من

دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن

- اجعلوا امركم الى ثلاثة منكم

قال الزبير : قد جعلت أمرى الى على ؓ

وقال طلحة : قد جعلت امرى الى عثمان ؓ

وقال سعد : قد جعلت امرى الى عبد الرحمن بن عوف ؓ

فقال له عبد الرحمن : ايكما تبرأ من هذا الامر فنجعله اليه، والله عليه والاسلام لينظرن افضلهم فى نفسه

فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن

افتجعلونه الى ؟ والله على ان لا آلو عن افضلكم

قالا : نعم

فاخذ بيد احدهما فقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الاسلام ما قد علمت فالله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن امرت عثمان لتسمعن ولتطيعن

ثم خلا بالاخر فقال له مثل ذلك، فلما اخذ الميثاق قال

ارفع يدك يا عثمان

فبايعه فبايع له على رضى الله عنه وولج اهل الدار فبايعوه[1] [2]

---

(١) دار عبد الرحمن بن عوف ليالى يلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم فرأى انهم يشيرون عليه بعثمان

(٢) صحيح البخارى

كيف كان معاوية[١] يقضى يومه

روى المسعودى[٢] فى تاريخه (مروج الذهب) قال

كان من اخلاق معاوية انه كان ياذن فى اليوم والليلة خمس مرات، كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ أجزاءه ثم يدخل الى منزله فيامر وينهى ثم يصلى اربع ركعات ثم يخرج الى مجلسه فياذن لخاصة الخاصة فيحدثهم ويحدثونه ويدخل عليه وزراءه فيكلمونه فيما يريدون من يومهم الى العشى ثم يوتى بالغداء الاصغر وهو فضلة عشائه من جدى[٣] بارد اوفرخ ومايشبهه ثم يتحدث طويلا ثم يدخل منزله لما اراد ثم يخرج فيقول ياغلام اخرج الكرسى فيخرج الى المسجد فيوضع فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسى ويقوم الاحداث فيتقدم

---

(١) معاوية بن ابى سفيان رض من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الوحى مؤسس الدولة الاموية ومن نوابغ السياسيين الذين انجبتهم ارض الجزيرة، كان عمر رضى الله عنه ينظر اليه ويقول هذا كسرى العرب، كان جوادا وقورا يضرب بحلمه المثل، كان احد كبار ملوك العالم فى عصره لعشرين سنة توفى ٦٠ هـ

(٢) هو ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى الشافعى المورخ الشهير، نشأ فى بغداد وساح البلاد الى الهند والصين ومدا عسكر توفى سنة ٣٤٥ او ٣٤٦ هـ

(٣) الجدى ولد المعز فى السنة الاولى

اليه الضعيف والاعرابى والصبى والمرأة ومن لا احد له فيقول اعزّوه
ويقول عدى على فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بى فيقول انظروا
فى امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس
على قدر منازلهم ولا يشغلنى احد عن رد السلام فيقال كيف اصبح
امير المؤمنين اطال الله بقاءه فيقول بنعمة من الله فاذا استووا
جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من
دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا فيقوم
الرّجل فيقول استُشْهِد فلان فيقول افرضوا لولده ويقول آخر
غاب فلان عن اهله فيقول تعاهدوهم اعطوهم اقضوا حوائجهم
اخدموهم ثم يوتى بالغداء ويحضر الكاتب فيقوم عند راسه
ويقدم الرّجل فيقول له اجلس على المائدة فيجلس فيمد يده
فيأكل لقمتين او ثلاثا والكاتب يقرا كتابه فيامر فيه
بامر فيقال يا عبد الله اعقب فيقوم ويتقدم آخر حتى ياتى على
اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم عليه من اصحاب الحوائج اربعون
او نحوهم على قدر الغداء ثم يرفع الغداء ويقال للنّاس
اجيزوا فينصرفون فيدخل منزله فلا يطمع فيه طامع حتى
ينادى بالظهر فيخرج فيصلى ثم يدخل فيصلى اربع ركعات
ثم يجلس فيأذن لخاصة الخاصة فان كان الوقت وقت شتاء
اتاهم بزاد الحاجّ[1] من الاخبصة[2] اليابسة والخشكنانج[3] والاقراص

---

(١) نوع من الاطعمة (٢) الخبيص حلواء (٣) معرَّب لعله خشك نان

المعجونة باللبن والسكر من دقيق السميذ[1] والكعك[2] المنضد[3] والفواكه
اليابسة وان كان وقت صيف اتاهم بالفواكه الرطبة ويدخل
اليه وزراؤه فيؤامرونه فيما احتاجوا اليه بقية يومهم ويجلس
الى العصر ثم يخرج فيصلي العصر ثم يدخل منزله فلا يطعم فيه
طعاما حتى اذا كان في آخر اوقات العصر خرج فجلس على سريره ويوذن
للناس على منازلهم فيؤتى بالعشاء فيفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب
ولا ينادى له باصحاب الحوائج ثم يرفع العشاء فينادى بالمغرب
فيخرج فيصليها ثم يصلي بعدها اربع ركعات ويقرأ في كل ركعة
خمسين آية يجهر تارة ويخافت اخرى ثم يدخل منزله فلا يطعم فيه طعاما
حتى ينادى بالعشاء الآخرة فيخرج فيصلي ثم يوذن للخاصة وخاصة الخاصة
والوزراء والحاشية فيؤامره الوزراء فيما ارادوا صدرا من ليلتهم ويستمر
الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها
لرعيتها وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها وسياستها لرعيتها و
غير ذلك من اخبار الامم السالفة ثم تاتيه الطُرف[4] الغريبة من عند
نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث
الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب
والمكائد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها و
قراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والآثار وانواع السياسات
ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ما وصفنا في كل يوم

---

(١) السميذ الدقيق الابيض (٢) الكعك خبز يعمل مستديرا من الدقيق والحليب والسكر

خطبة زياد بن ابيه (١)

اما بعد فان الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء والغي الموفي باهله على النار، مافيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم (٢) من الامور التي ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى (٣) عنها الكبير، كانكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما اعدّ الله من الثواب الكريم لاهل طاعته، والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي (٤) لا يزول، انه ليس منكم الامن طرفت (٥) عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه، من ترككم الضعيف يقهر، والضعيفة المسلوبة بالنهار لا تنصر، والعدد غير قليل، والجمع غير مفترق، الم يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دلج (٦) الليل وغارة النهار ؟! قربتم القرابة وباعدتم الدين ! تعتذرون بغير العذر، وتغضون على النكر

---

(١) من نوابغ العرب ودواهيها ومن اخطب الخطباء واشهر السياسيين والاداريين في العصر الاسلامي الاموي، خطب بين يدي عمر يوما في حضرة المهاجرين والانصار خطبة لم يسمعوا مثلها واستدان بعقله وكفايته عمر وعلي بعده ومعاوية بعدهما فكان فوق المنتظر وهو من اقوى العمد التي قام عليها عرش بني امية كانت وفاته سنة ٥٣ هـ

(٢) عقلاؤكم (٣) لا يحترز ولا يجتنب (٤) الدائم المستمر (٥) طرفت عينه اصابها بشيء فدمعت

(٦) السير في الليل

كل امرئ منكم يردع عن سفيهه، صنع من لا يخاف عاقبة و

لا يرجو معادا ! ما انتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم

ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم اطرقوا

وراءكم كنوسا[1] فى مكانس[2] الريب حرام على الطعام والشراب حتى

اسويها بالارض هدما واحراقا . انى رايت آخر هذا الامر لا يصلح

الا بما صلح به اوله : لين فى غير ضعف، وشدة فى غير عنف، و

انى لاقسم بالله لآخذن الولى بالمولى ، والمقيم بالظاعن، والمطيع

بالعاصى، والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل اخاه فيقول : ——

—— انج سعد فقد هلك سعيد ، او تستقيم قناتكم[3]. ان كذبة

الامير بلقاء[4] مشهورة ، فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم

معصيتى ، فاذا سمعتموها منى فاغتمزوها فى واعلموا أن عندى

امثالها . من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب من ماله،

فاياى ودلج الليل . فانى لا اوتى بمدلج الا سفكت دمه ، وقد

اجلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة و يرجع اليكم

واياى ودعوى الجاهلية ، فانى لا اجد احدا دعا بها الا قطعت لسانه

---

(1) الكانس الظبى يدخل فى كناسه وهو بيته ج كنس وكنوس (2) المخابئ ومحال المنكر (3) استقامت قناته استقام وصلح (4) ان كذب الامير افتضح بكذبه —— واشتهر عنه ذلك فان البلق يمتاز عن سائر الجسد فاذا ثبت لكم انى كذبت فلا طاعة لى عليكم

وقد احدثتم احداثا لم تكن، وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة
فمن اغرق قومًا اغرقناه، ومن احرق قوما احرقناه، ومن نقب بيتا
نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا، فكفوا عني ايديكم
والسنتكم اكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر من احدكم ريبة
بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه، وقد كان بيني وبين قوم
احن[1] فجعلت ذلك دَبْرَ أُذني[2] وتحت قدمي، اني لو علمت ان احدكم
قد قتله السُّل[3] من بغضي لم اكشف له قناعا، ولم اهتك له سترا
حتى يبدي صفحته، فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا اموركم
واعينوا على انفسكم، فرب مبتئس بقدومنا سيُسر ومسرور بقدومنا
سيبتئس[4]!

ايها الناس! انا قد اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة،
نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا
فلنا عليكم السمع والطاعة فيما احببنا، ولكم علينا العدل فيما
ولينا؛ فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا. وايم الله ان لي فيكم
لصرعى كثيرة، فليحذر كل منكم ان يكون من صرعاي[5]!

---

(١) الاحنة الحقد ج احن (٢) جعلت ذلك دبر اذني اي خلف اذني فلم اصغ اليه ولم
اعرج عليه (٣) السل والسلال بالكسر والضم الهزال وداء معروف
(٤) ابتأس كره وحزن (٥) البيان والتبيين

خطبة الحجّاج بن يوسف الثقفي [1]

يا اهل العراق ! ان الشيطان قد استبطنكم [2] فخالط اللحم والدم والعصب [3] والمسامع والاطراف والشغاف [4] ثم مضى الى الامخاخ [5] والاصماخ [6] ثم ارتفع فعشش، ثم باض وفرخ، فحشاكم نفاقا وشقاقا، قد اتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدًا تطيعونه، ومؤمرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة، او تعظكم وقعة، او يحجزكم [7] اسلام، او يردكم ايمان ؟ ألستم اصحابي بالاهواز، حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر وظننتم ان الله يخذل دينه وخلافته، واناأرميكم بطرفي وانتم تتسللون لواذا [8] وتنهزمون سراعًا، ويوم الزاوية ! وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وبراءة الله منكم

---

(١) ٤١-٩٥ هـ جلاد بني امية ودعامة ملكهم كان لسنا سليطا قوى الحجة لا يكاد يعد لدى ذلك احد من اهل زمانه قال مالك بن دينار ما رأيت احدا ابين من الحجاج انه كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى اهل العراق وصفحه عنهم واسائتهم اليه حتى لاحسبه صادقا واظنهم كاذبين مع انه قتل منهم بالصبر مائة وعشرين الفا وتوفى فى سجونه منهم خمسون الف رجل وثلاثون الف امرأة

(٢) استبطن الشئ دخل بطنه واستبطنه اتخذه له بطانة اى خاصة (٣) العصب بفتح الصاد اطناب المفاصل التى تلائم بينها وتشدها وهى منتشرة فى الجسم كله وبها تكون الحركة والحس

(٤) الشغاف من القلب غلافه وحبته (٥) الامخاخ جمع مخ وهو ما يعرف بالنخاع

(٦) الاصماخ جمع صماخ خرق الاذن (٧) يحول بينكم وبين ما تعملون

(٨) تهربون خفية

ونكوص وليه عنكم، اذ وليتم كالابل الشوارد الى اوطانها، النوازع[1] الى أعطانها[2]، لا يسأل المرء منكم عن اخيه، ولا يلوي[3] الشيخ على بنيه، حتى عضكم السلاح وقصمتكم الرماح! ويوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم[4] بضرب يزيل الهام[5] عن مقيله[6] ويذهل الخليل عن خليله، يا اهل العراق! اهل الكفرات والغدرات، والثورة بعد الثورات! ان ابعثكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان امنتم ارجفتم[7]، وان خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة، هل استخفكم[8] ناكث واستغواكم غاو واستنصركم ظالم واستعضدكم خالع الا تبعتموه وآويتموه ونصرتموه ورضيتموه؟ هل شغب شاغب او نعب ناعب[9] الا كنتم اشياعه وانصاره؟ الم تنهكم المواعظ؟ الم تزجركم الوقائع؟ ثم التفت الى اهل الشام فقال: يا اهل الشام! انما انا لكم كالظليم[10] الذاب عن فراخه، ينفي عنها المدر، ويبعد عنها الحجر، ويكنها من المطر يا اهل الشام! انتم الجُنّة والرداء، وانتم العدة والحذاء[11]

---

(١) نزع اشتاق وحن (٢) العطن المناخ حول المورد (٣) لا ينعطف ولا يعرج (٤) كسرتكم (٥) الحروب والوقائع العظيمة (٦) الرؤس (٧) مكانه (٨) ارجف خاض في الاخبار السيئة والفتن قصد ان يهيج الناس، (٩) استخفه استجهله. ازاله عن الحق والصواب (١٠) استنصركم (١١) صوّت وصاح (١٢) الذكر من النعام (١٣) المدر الطين المتماسك الذي لا يخالطه رمل (١١) البيان والتبيين

خطبة طارق بن زياد[1] (عند فتح الأندلس)

أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم[2] والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام[3] وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة[4] وأنتم لا وزر[5] لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ريحكم[6] وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم[7] فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة[8] هذا الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة[9] ولا حملتكم دوني على خطة أرخص متاع فيها النفوس، أبدأ بنفسي، واعلموا أنكم

---

(1) كان مولى لموسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على أفريقية والمغرب جبل طارق في جنوب الأندلس ولخطبته هذه فضل كبير في الفتح الأندلسي وفيما أسس العرب هنالك من دولة وحضارة توفي سنة ٩٢ هـ

(2) وذلك لأنه أحرق السفن التي وصلوا بها إلى بلاد أسبانيا (3) لا يبالون شيئاً إلا إذا أكلوا عليه (4) كثيرة (5) لا ناصر لكم غير سلاحكم (6) ضاعت قوتكم وغلبتكم

(7) تجاسرت عليكم بدل خوفها منكم (8) بمقاتلة ذلك الجبار (8)

(9) أنا منه بمكان حصين يعني أنا منه خالص

ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه[1] الالذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم فيه[2] با وفر من حظي، وقد بلغكم ما انشأت[3] هذه الجزيرة من الخيرات العميمة، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المومنين من الابطال عربانا[4] ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهارا[5] واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة[7] لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم[8] على ما يكون لكم ذكرا في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتم امره ولم يعوزكم بطل عاقل[9] تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة بقتله[10].

---

(١) الارغد الالين (٢) فيه اى الامر الاشق (٣) ما اخرجت (٤) العربون وهو ما يقدم لربط البيع (٥) الصهر القريب المحرم للزوج او الزوجة كالاب والاخ، الختن القريب المحرم للزوجة (٦) وتكرمكم بمقاتلة الشجعان (٧) وليكون غنمها لكم خالصة لكم (٨) نصركم واعانتكم (٩) لا تجدون عوزا وحاجة في وجود بطل عاقل يعني انكم تجدون كثيرا من الابطال العقلاء الذين تولونهم اموركم (١٠) نفح الطيب للمقري

خُطْبَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله (١)

ايها النّاس :- انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وان لكم معاداً يتولى الله فيه الحكم فيكم ، والفصل بَيْنَكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شئى وحرم الجنة التى عرضها السموٰت والارض ، واعلموا ان الامان غداً لمن حذر الله وخافه ، وباع قليلاً بكثير ، ونافداً بباق ، وخوفاً بامان ، الاترون انكم فى اسلاب (٢) الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تردوا الى خير الوارثين ثم انكم فى كل يوم وليلة تشيعون غاديا ، الى الله ورائحا قد قضى نحبه وانقضى اجله ثم تضعونه فى صدع من الارض ، فى بطن لحد ، ثم تدَعونه غير موسد (٣) ولا ممهّد قد خلع الاسلاب وفارق الاحباب ووُجه للحساب ، غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم وايم الله انى لا قول لكم هذه المقالة ، ولا اعلم عند احد منكم اكثر مما عندى واستغفر الله لى ولكم ، وما يبلغنا احد منكم حاجة ليسعها ما عندنا الاسددنا من حاجته ما قدرنا عليه والا احد يسع له ما عندنا

---

(١) الرجل الصالح والخليفة الراشد وثانى عمر رضى الله عنه فى الاسم والرسم واسوة للملوك والامراء الى يوم القيمة ولى الخلافة سنة ٩٩هـ بعد سليمان بن عبد الملك فادى الامانة وبلغ الغاية فى الورع والزهادة والتحرى للحق والعدل والتعفف عن اموال المسلمين وخشونة العيش وجشوبة المطاعم والملبس لحق بجده (عمر رض) سنة ١٠١هـ

(٢) السلب ما يسلب ج اسلاب (٣) وسده جعل الوسادة تحت راسه

الا وددت ان يده مع يدى، ولحمتى الذى يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم، وايم الله لو اردت غير هذا من عيش او غضارة (١) لكان اللسان به منى ناطقا ذلولا وعالما باسبابه، ولكنه سبق من الله عز وجل كتاب ناطق وسنة عادلة، دل فيهما على طاعته، و نهى فيهما عن معصيته (٢)

وصيته الى الكتاب امامهم عبد الحميد بن يحيى (٣)

فتنافسوا يا معاشر الكتاب فى صنوف الآداب (٤) وتفهموا فى الدين وابدءوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية فانها ثقاف (٥) السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية (٦) كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسمو (٧) اليه هممكم ولا تضيعوا النظر

---

(١) الغضارة النعمة وطيب العيش (٢) البيان والتبيين (٣) هو ابو غالب بن يحيى بن سعد المنسوب الى بنى عامر نسبة ولائية فهو من سلالة غير عربية امام الكتاب ومجدد صناعة الانشاء والترسل ثقفت الكتابة على سالم مولى هشام بن عبد الملك وكاتب سره ثم استكتبه مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية فنفق عنده وحظى بما لم يحظ به غيره، وتمكن من ادخال تحسينات كثيرة على الصناعة منها تنويع الخطاب ومراعاة مقتضى الحال والتفنن فى البدء والختام واطالة التحميدات ونفقت فى سوق الكتابة المكاتبة عبد الحميد من الخليفة وزعامة طبقة الكتاب، قتل سنة ١٣٢ هـ

(٤) تباروا فى انواعها (٥) مقومها (٦) زينتها (٧) ترتفع

فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج[1] وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف الامور ومحاقرها[2] فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم عن الدناءة واربؤا بانفسكم[3] عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف[4] والعظمة فانها عداوة مجتلبة[5] من غير احنة[6] وتحابوا فى الله عز وجل فى صناعتكم وتواصوا عليها بالذى هو أليق لاهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان[7] برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه[8] حتى يرجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان اقعد احدا منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته[9] ......

ولا يقل احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لاعباء التدبير من مرافقه فى صناعته ومصاحبه فى خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين

---

(١) نظام امورهم وعمادها (٢) السفساف الردى الفاسد من كل شى ومحاقر الامور محقراتها وصغائرها (٣) باعدوا بها (٤) السخف ضعف العقل (٥) مكتسبة (٦) الاحنة الحقد والغضب (٧) اذا جار عليه الزمان (٨) ابذلوا له مما تملكون و ساعدوه بما تقدرون (٩) استفيدوا من تجاربه ومعلوماته

ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكاثر على اخيه اونظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل: من تلزمه النصيحة يلزمه العمل.[2] (وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى ذكر فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[3]

وصف صديق لابن المقفع[4]

كان لى اخٌ هو اعظم الناس فى عينى وكان رأس ما عظّمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه كان خارجًا من سلطان بطنه فلا يشتهى

---

(١) يغالبه (٢) من احتاج الى النصح وجب عليه العمل به (٣) صبح الاعشى

(٤) عبد الله بن المقفع كاتب فارسى الاصل عربى النشأة نبغ فى الكتابة فى اللغتين الفارسية والعربية واستكتب فى عهد بنى امية واسلم فى عهد بنى العباس وقتل فى عهد المنصور سنة ١٤٢ ﻫ بالغا من العمر ستا وثلاثين سنة

ابن المقفع امام فى الادب والانشاء صاحب طريقة فى الكتابة عرفت به واخذت عنه وهى طريقة سهلة جارية مع الطبع عامرة بالمعانى خفيفة اللفظ للقلب والعاطفة فيها حظ قليل الا ما كان تعبيرا عن وجدانه وتمثيلا لاخلاقه كالصداقة والمروءة والرجل ابتر فى الترجمة لا تتم منها رائحة الترجمة ولا تميز النقل عن الوضع وكتابه "كليلة ودمنة" الذى ترى انموذجه فى فصل اخوان الصفاء مثال خالد للترجمة

ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجًا من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ولا يمارى فيما علم وكان خارجًا من سلطان الجهالة فلا يتقدم ابدًا الا على ثقة بمنفعة وكان اكثر دهره صامتًا فاذا قال بذّ القائلين وكان يرى ضعيفا مستضعفا فاذا جدّ الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل فى دعوى ولا يشارك فى مراء ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودًا عدولا وكان لا يلوم احدًا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعذره، وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحبًا الا ان يرجو عنده النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن الولى ولا يخص نفسه بشئ دون اخوانه من حيلته وقوته واهتمامه،

فعليك بهذه الاخلاق ان اطقتها ولن تطيقها ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع!

اخوان الصفاء، له

فبينما الغراب فى كلامه اذ اقبل نحوهم ظبى يسعى فذعرت منه السلحفاة فغاصت فى الماء وخرج الجرذ الى جحره وطار الغراب

فوقع على شجرة، ثم ان الغراب حلّق فى السماء لينظر هل للظبى طالب؟ فنظر فلم ير شيئا، فنادى الجرذ والسلحفاة، وخرجا، فقالت السلحفاة للظبى حين رأته ينظر الى الماء: إشرب ان كان بك عطش، ولا تخف: فانه لا خوف عليك، فدنا الظبى، فرحبت به السلحفاة وحيّته، وقالت له: من اين اقبلت؟ قال كنت أسنح[1] بهذه الصحارى؛ فلم تزل الاساورة[2] تطردنى من مكان الى مكان، حتى رأيت اليوم شبحا، فخفت ان يكون قانصا قالت: لا تخف: فانا لم نر هاهنا قانصا قط، ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا، والماء والمرعى كثيران عندنا: فارغب فى صحبتنا فاقام الظبى معهم وكان لهم عريش[3] يجتمعون فيه، ويتذاكرون الاحاديث والاخبار فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم فى العريش، غاب الظبى فتوقعوه ساعة، فلم يأت، فلما أبطأ أشفقوا[4] ان يكون قد اصابه، عنت[5] فقال الجرذ والسلحفاة للغراب: انظر هل ترى مما يلينا شيئا؟ فحلق الغراب فى السماء، فنظر، فاذا الظبى فى الحبائل مقتنصا، فانقض مسرعا فأخبرهما بذلك

---

[1] السانح من الصيد ما مر من المياسر الى الميامن، والبارح ضده وهم يتفاءلون بالاول لا بالثانى [2] جمع اسوار وهو الرامى بالسهام [3] مكان يستظل به [4] خافوا [5] وقوع فى امر شاق

فقالت السلحفاه والغراب للجرذ : هذا امر لا يرجى فيه غيرك فاغث لاخاك ، فسعى الجرذ مسرعا فاتى الظبى، فقال له : كيف وقعت فى هذه الورطة وانت من الاكياس[1] ؟ قال الظبى : هل يغنى الكيس مع المقادير شيئا ؟ فبينما هما فى الحديث اذ وافتهما السلحفاة ، فقال لها الظبى : ما اصبت بمجيئك الينا : فان القانص لو انتهى الينا وقد قطع الجرذ الحبائل استبقته عدوا ، وللجرذ اجحار كثيرة ، والغراب يطير، وانت ثقيلة : لا سعى لك ولا حركة ، واخاف عليك القانص. قالت : لا عيش مع فراق الاحبة واذا فارق الاليف اليفه فقد سلب فؤاده : وحرم سروره ، و غشى بصره ، فلم ينته كلامها حتى وافى القانص، ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك ، فنجا الظبى بنفسه ، وطار الغراب محلقا ودخل الجرذ بعض الاجحار ، ولم يبق غير السلحفاة ، ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعه، فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب، فاخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبى ان اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم، وقال الجرذ : ما اراتا نجاوز عقبة من البلاء الاصرنا فى اشد منها ؛ ولقد صدق الذى قال : لا يزال الانسان مستمرا فى اقباله

---

(١) جمع كيس وهو الفطن الظريف من الكياسه

مالم دميثر، فاذا عثر لج[١] به العثار، وان مشى فى جدد[٢] الارض وحذى على السلحفاة حين الاصدقاء التى خُلّتها[٣] ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافاة، ولكنها خلة الكرم والشرف، خلقة هى افضل من خلة الوالد لولده، خلة لا يزيلها الا الموت، ويح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذى لا يزال فى تصرف وتقلب، ولا يدوم له شئ، ولا يلبث معه امر: كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع، ولا للآفل منها افول لكن لا يزال الطالع منها آفلا والافل طالعا، وكما تكون الام الكلوم[٤] وانتقاض الجراحات، كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعه بهم. فقال الظبى والغراب للجرذ: ان حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا، كل منها لا يغنى عن السلحفاة شيئا. وانه كما يقال: انما يختبر الناس عند البلاء، وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب، قال الجرذ: ارى من الحيلة ان تذهب، ايها الظبى، فتقع بمنظر من القانص: كانك جريح ويقع الغراب عليك كانه ياكل منك: واسعى اذا فاكون قريبا من القانص، مراقبا له، لعله ان يرمى ما معه من الآلة،

---

(١) تمادى (٢) الارض الغليظة المستوية (٣) الخلة الصداقة المختصة تكون فى عفاف وفى دعارة (٤) جمع كلم وهو الجرح

ويضع السلحفاة، ويقصدك طامعا فيك، راجيا تحصيلك، فاذا دنا منك ففرعته رويدا، بحيث لا ينقطع طمعه منك، ومكّنه من اخذك مرّة بعد مرّة، حتى يبعدعنا، وانح منه هذا النحو ما استطعت : فاني ارجوا الا ينصرف الا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة ؛ ولنجو بها، ففعل الغراب والظبي ما امرهما به الجرذ، وتبعهما القانص، فاستجرّه الظبي، حتى ابعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل، حتى قطعها، ونجا بالسلحفاة، وعاد القانص مجهودا لاغبا[1] فوجد حبالته مقطعة ففكر في امره مع الظبي المتطلع؛ فظن انه خولط في عقله، وفكر في امر الظبي والغراب الذي كان ياكل منه، وقرض حبالته، فاستوحش من الارض وقال : هذه ارض جن او سحرة، فرجع موليا لا يلتمس شيئا ولا يلتفت اليه، واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين كاحسن ما كانوا عليه

فاذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرّة بعد اخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاعه مع اصحابه بعضهم ببعض، فالانسان الذي قد أعطى العقل والفهم، والهم الخير والشر، ومنح التمييز والمعرفة اولى واحرى بالتواصل والتعاضد، فهذا مثل اخوان الصفاء، وائتلافهم في الصحبة[2]

---

(١) تعبا (٢) من كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع « فصل « الحمامة المطوقة »

البعثة المحمدية

من رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد الى قسطنطين ملك الروم:

أن الله عز وجل اصطفى الاسلام لنفسه ، واختار له رسلاً من خلقه ، وابتعث كل رسول بلسان قومه ، ليبين لهم ما يتبعون ، و يعلمهم ما يجهلون : من توحيد الرب وشرائع الحق (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) فلم تزل رسل الله قائمة بامره ، متوالية على حقه ، في مواضي الدهور ، وخوالي القرون وطبقات الزمان ، يصدق آخرهم بنبوة اولهم ، ويصدق اولهم قول آخرهم ، ومفاتح دعوتهم واحدة لا تختلف ، ومجامع ملتهم ملتئمة لا تفترق ، حتى تناهت الولاية والوراثة التي بين عيسى عليه السلام و نبينا عليهما السلام ، الى النبي الامي الذي انتخبه الله لوحيه ، و اختاره بعلمه ، فلم يزل ينقله بالآباء الاخيار ، والامهات الطواهر امة فامة ، وقرناً فقرناً ، حتى استخرجه الله في خير أوان ، وافضل زمان من اثبت محاتد[1] ارومات[2] العرب اصلاً ، واعلى ذوائب نبعات[3] العرب

---

(١) محاتد : جمع محتد ، وهو الاصل (٢) ارومات : جمع ارومة ، وهي الاصل.

(٣) نبعات : اصول كريمة

فرعا، واطيب منابت اعياص[1] قريش مغرسا، وارفع ذرى مجد بنى هاشم سمكا: محمد صلى الله عليه وسلم خيرها عند الله وخلقه نفسا، على حين اوحشت الارض من اهل الاسلام والايمان وامتلأت الآفاق من عبدة الاصنام والاوثان، واشتعلت البدع فى الدين، واطبقت الظلم على الناس اجمعين وصار الحق رسما عافيا، خلقا باليا، ميتا وسط اموات، ما ان يحسون للهدى صوتا يسمعونه، ولا للدين اثرا يتبعونه فلم يزل صلى الله عليه وسلم قائما بامر الله الذى انزل اليه، يدعوهم الى توحيد الرب عز وجل، ويحذرهم عقوبات الشرك، ويجادلهم بنور البرهان، وآيات القرآن، وعلامات الاسلام، صابرا على الاذى، محتملا للمكروه، قد الهمه الله عز وجل انه مظهر دينه، وممكن تمكينه، وعاصمه ومستخلفه فى الارض، فليس يثنيه ريب، و لا يلويه هيب، ولا يعنيه أذى، حتى اذا قهرت البينات الباهم وبهرت الآيات ابصارهم، وخصم نور الحق حجتهم، فلم تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه، ولم تجد العقول سبيلا الى دفع حقه و هم على ذلك مكذبون بافواههم وجاحدون باقوالهم، كما قال الله عز وجل العليم بما يسرون، الخابر بما يعلنون: (فَإِنَّهُمْ

---

(١) اعياص قريش: اولاد امية بن عبد شمس الاكبر، وهم: العاص وابو العاص والعيص وابو العيص والعويص (٢) فى الاصل، " فلا "

لا يُكذبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون) بغياً وعداوة وحسداً ولجاجة افترض الله عليه قتالهم، وامره ان يجرد السيف لهم وهم في عصابة يسيرة، وعدة قليلة، مستضعفين مستذلين يخافون ان يتخطفهم العرب، وتداعى[1] عليهم الامم وتستحملهم[2] الحروب فآواهم في كنفه، وايدهم بنصره وانذرهم بمقدمة من الرعب ومشعلة من الحق، وجنود من الملائكة حتى هزم كثيراً من المشركين بقلتهم، وغلب قوة الجنود بضعفهم، انجازاً للوعد وتصديقاً لقوله: (وإنّ جندنا لهم الغالبون) فأحسن النظر وقلب الفكر في حالات النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي قائماً لله لتجد لمذاهب فكرك وتصاريف نظرك، مضطرباً واسعاً، ومعتمداً نافعاً، وشعوباً جمة، كلها خير يدعوك الى نفسه وبيان ينكشف لك عن محضه، والخبر امير المؤمنين ما كانت وقائلاً لو لم تكن البعثة للنبي صلى الله عليه وسلم بالغات، ولم تكن الانباء بامور تقررت قبلك، ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك وقالت الجماعة المختلفة لك: انه خير بين الهدى في مثل هذه الضلالات المستأصلة، والجماعات المستأسدة[3]، التي ذكر [illegible] المؤمنين من قبائل العرب، وجماهير الامم وصناديد الملوك [illegible] جمعهم

---

(١) اصلها تتداعى فحذفت احدى التاءين، ومعناه يجتمعون عليهم [illegible]
(٢) تستحملهم: تلقي عليهم حملها وعبئها (٣) المستأسدة: القوية

قد نصب لها وغرى بها، بجهل احلامها، ويكفر اسلافها، ويزرى الأفها، ويلعن اباءها، ويضلل اديانها، وينادى بشهاب الحق بينها، ويجهر بكلمة الإخلاص الى من تراخى عنها، حتى حميت العرب وانفت العجم، وغضبت الملوك، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه اليه، وحيدا فريدا، لا يحفل بهم غضبا، ولا يرهب عنتا، يقول الله عز وجل (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) أكنت تقول فيما تجرى الاقاويل به وتقع الآراء عليه، الا انه احد رجلين: اما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول، وقد دعا الحتف الى نفسه، واذن الله لقومه في قتله، فليست الايام بمادة ولا الحال ثابتة له الا ريثما تستلحمه[1] اسبابهم، وينهض به حلماؤهم، غضبا لوهمهم، وانفة لدينهم، وحمية لاصنامهم، وحسدا من عند انفسهم، واما صادق بصير بموضع قدمه ومرمى نبله، قد تكفل الله عز وجل بحفظه، وصحبه بعزه، وجعله في حرزه، وعصمه من الخلق، فليست الوحشة بواصلة مع صحبة الله اليه، ولا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه، ولا سيوف الاعداء بماذون لها فيه، ثم ان[2] ايتكم يا اهل الكتاب لو قيل لكم: ان الرجل الذى يدعى العصمة وينتحل النبوة، اقد نجمت الامور به على ما قال،

---

(١) تستلحمه: تلتف به وتنشب (٢) كذا في الاصل

وسلمت الحال له فيما ادعى، حتى نصب لعمارات[1] العرب، وجماعات الامم، يقاتل بمن طاوعه من خالفه، وبمن تابعه من عانده، جاداً مشمّراً محتسباً واثقاً بموعود الله ونصره، لا تأخذه لومة لائم في ربه، ولا يوجد لديه غميزة[2] في دينه، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه، حتى أعز الله دينه، وأظهر تمكينه وانقادت الاهواء له، واجتمعت الفرق عليه. المريكن ذلك يزيد خمقه يقيناً عند كم، ودعوته ثبوتاً فيكم، حتى تقول الجماعة من حلمائكم واهل الحنكة من ذوى آرائكم: ما كان الرجل، اذا كان وحيداً فريداً قليلا ضعيفاً ذليلا معروفاً بالعقل منسوباً الى الفضل ليجترئ ان يقول: إن الله عز وجل اوحى اليه فيما نزل من الكتاب عليه ان يعصمه من العرب جميعا ويمنعه من الامم طراً، حتى يبلغ رسالات ربه، ويظهره على الدين كله، ويدخل الناس افواجا فى دينه، الا وهو على ثقة من امره ويقين من حاله[3]

———

(١) عمارات العرب. احياؤها العظيمة

(٢) الغميزة المغمز والمطعن والعيب

(٣) عصر المأمون

*

رحلة الامام الشافعي[1]

عن الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول :

فارقت مكة ـــ وانا ابن اربع عشرة سنة لا نبات بعارضي ـــ من الابطح الى ذى طوى وعلىّ بردان يمانيان ، فرأيت ركبا منيخة سلمت عليهم فردوا علىّ السلام ، فوثب الىّ شيخ كان فيهم فقال :

ـــ سألت بمن القيت علينا سلامه الا ما حضرت طعامنا و ما كنت علمت انهم احضروا طعامًا

فاجبت مسرعًا غير محتشم ، فرأيت القوم يدوًا ياخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة ، فاخذت كاخذهم كيلا يتشنع عليهم مأكلى ، قال : والشيخ ينظر الىّ ساعة بعد ساعة ، ثم اخذت السقاء وشربت ريًا ، وحمدت الله تعالى واثنيت عليه ،

---

(١) هو ابو عبد الله محمّد بن ادريس القرشي الشافعي ولد بغزة ونشأ فى بنى هذيل على اللغة والشعر قرأ القران ودرس العربية وراد البادية فى طلب اللغة والادب وحفظ الموطا وما ارى عمره على خمس عشرة سنة ورحل الى مالك امام المسلمين كما وصف بنفسه وقرأ عليه واخذ منه وفى سنة ١٩٥ هـ وفد الى بغداد فالتف حوله علماء ها يأخذون عنه وفيهم الامام احمد بن حنبل ولقى محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة واستفاد ثم دخل مصر سنة ١٩٩ حيث انتقل الى رحمة الله سنة ٢٠٤

كان رحمه الله احد اعلام الامة المحمدية وفقهائها فصيح المنطق راجح العقل قوى الحجة ، اماما متبوعا وشاعرا مطبوعا .

قال : فاقبل على الشيخ وقال :

ـــ مكى انت ؟

قلت :ـ مكى

قال :ـ قرشى انت ؟

قلت : قرشى

ثم اقبلت عليه وقلت له :

ـــ ياعم بم استدللت على ؟

فقال :ـ اما فى الحضر طعام ؟ من احب ان ياكل طعام الناس احب ان يأكلوا طعامه ، و ذلك فى قريش خصوصا

قال الشافعى : فقلت ـــ من اين ؟

قال :ـ من يثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم

فقلت : من العالم بها والمتكلم فى نص كتاب الله والمفتى باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : سيد أصبح ، مالك بن انس رضى الله عنه

فقال الشافعى رحمه الله فقلت : واشوقاه الى مالك

فقال لى مجيبا : عدل الله شوقك ، الا ترى الى البعير الاورق [1] ؟

فقلت : اجل

---

[1] الذى لونه لون الرماد

قال: هو احسن جمالنا قيادًا واسهلها مشيا، ونحن ثمانية نفر، ذلك مما احسن الصحبة حتى تصل الى مالك

قال الشافعي رضي الله عنه: فقلت: متى ظعنكم؟

فقالوا: في وقتنا هذا

فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض واركبوني البعير الذي كانوا وعدوني بركوبه، قال الشافعي رحمة الله عليه: وعلوت على ظهره واخذ القوم في السير واخذت انا في الدرس فختمت من مكة الى المدينة ست عشر ختمة، ختمة بالليل وختمة بالنهار، ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة العصر، فأتيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنوت من القبر فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره، فرأيت مالك بن انس موتزرا ببردة متشحًا[١] بأخرى وهو يقول: حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر ويضرب بيده على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رضي الله عنه: فلما رأيت ذلك هبته الهيبة العظيمة، وجلست حيث انتهى بي المجلس فنخذت عودا من الارض فجعلت كلما املى مالك حديثا كتبته بريقي على يدي ومالك ينظر الي من حيث لا اعلم حتى انقضى المجلس وجلس مالك ينتظر العشاء المغرب ولم يراني انصرفت فيمن انصرف

---

(١) اتشح بثوبه لبسه او ادخله تحت ابطه فالقاه على منكبه

فاشار الىّ بيده ، فدنوت منه فنظر الىّ ساعة ثم قال لى :

- احرمىّ انت ؟

قلت :- وقُرَشى

فقال : كملت صفاتك ، فلم رايتك سئ الأدب ؟

فقلت : وما الذى رأيت من سوء أدبى ؟

فقال : رأيتك وانا املى الالفاظ لرسول الله ﷺ وانت تلعب بريقك على يدك :-

فقلت : عدم الورق ، وكنت اكتب ماتقول

فجذب مالك يدى فقال : مالى لاارى عليها شيئا

فقلت : ان الريق لايثبت على اليد ، ولكن قد وعيتُ جميع ماحدثت به منذ وقت جلست الى حين قطعت

فعجب مالك من ذلك فقال : اعد علىّ ولو حديثا واحدًا قال الشافعى : رحمه الله فقلت : حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر - واشرت بيدى الى القبر كاشارته - عن النبى ﷺ حتى اعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدّث بها من وقت جلس الى وقت قطع المجلس وسقط القرص" وصلى مالك المغرب فاقبل على عبده فقال

- خذ بيد سيدك اليك

قرص الشمس عينها وسقط اى غرب

وسألني النهوض معه قال الشافعي رضي الله عنه فقمت غير ممتنع الى مادعا من كرامة، فلما اتيت الدار ادخلني الغلام الى مخدع[1] و قال لي!

- القبلة من البيت هكذا، هذا اناء فيه ماء، وهذا الخلاء من الدار (واشار اليه)

قال الشافعي رضي الله عنه فمالبث مالك غير بعيد حتى اقبل والغلام حامل طبقا فوضعه من يده، وسلم على مالك ثم قال للعبد:

- اغسل علينا

فوثب الغلام الى الاناء واراد ان يغسل عليّ اولا، فصاح عليه مالك وقال:

- في اول الطعام لرب البيت، وفي آخر الطعام للضيف

قال الشافعي رضي الله عنه: فاستحسنت ذلك من مالك، و سألته عن ذلك فقال:

- انه يدعوا الناس الى طعامه فحكمه ان يبتدئ بالغسل، وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل ليأكل معه

قال الشافعي رضي الله عنه: وكشف مالك الطبق وكان فيه صحفتان في احداهما لبن وفي الاخرى تمر، فسمّى وسميت، قال الشافعي: فاتيت

---

(١) المخدع والمُخدع بكسر الميم وضمها بيت داخل البيت الكبير

انا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك انا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لي :

- يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل، انى فقير معدم

فقلت : لا عذر على من احسن، انما العذر على من اساء

قال الشافعي : فاقبل مالك يسألني عن اهل مكة حتى دنا العشاء الآخرة ثم قال :

- حكم المسافر ان يحمل نفسه بالاضطجاع

قال الشافعي فنمت ليلتي، فلما كان في الثلث الاخير من الليل عند انفجار الصبح قرع مالك على الباب، فأقرعت فقال لي

- الصلاة يرحمك الله

فرأيته حاملا إناء فيه ماء ليسبغ على ذلك، فقال لي

- لا يرعك ما رأيت مني، فخدمة الضيف فرض

قال الشافعي رضي الله عنه فتجهزت للصلوة وصليت الفجر مع مالك بن انس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضا من الغلس[1] وجلس كل واحد منا في مصلاه نسبح الله الى ان طلعت الشمس على رؤس الجبال كالعمائم على رؤس الرجال. فصلى كل امرئ منا ما تيسر له ثم جلس في مجلسه بالامس وناولني الموطأ

---

(١) ظلمة آخر الليل

امليه واقرأه على الناس وهم يكتبون ، قال الشافعى رضى الله عنه :-
فاتيت على حفظه من اوله الى آخره من القراءة واقمت ضيف
مالك ثمانية اشهر فما علم احدٌ من الانس الذى كان بيننا اينا الضيف
ثم قدم على مالك المصريون بعد قضا أحجهم زائرين لنبيهم و ليسمعوا
الموطا ، قال الشافعى رضى الله عنه فامليته عليهم حفظا ، منهم
عبد الله بن عبد الحكم واشهب وابن القاسم — قال الربيع : واحسب
انه ذكر الليث بن سعد — ثم قدم بعد ذلك اهل العراق زائرين لنبيهم
قال الشافعى رضى الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف
الثوب حسن الصلوة ، فتوسمت[٢] فيه خيرا ، فسألته عن اسمه فاخبرنى
وسألته عن بلده فقال : فى العراق
قال الشافعى رضى الله عنه : فقلت :- أى العراق
قال : الكوفة .
فقلت :- من العالم فيها والمتكلم فى نص كتاب الله و المفتى
باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال :- محمد بن الحسن وابويوسف صاحبا ابى حنيفة رضى الله عنه
قال الشافعى ———— فقلت : ومتى عزمتم تظعنون ؟
فقال : فى غداة غد عند انفجار الفجر

---

(١) ظلمة آخر الليل (٢) توسم الشىء تفرسه وتوسم فيه الخير تبين ولحظ فيه اثره

فعدت الى مالك فقلت له : قد خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود اليها أو ارحل ؟ و فى طلب العلم فائدة يرجع منها الى عائدة

فقال : الم تعلم بان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ؟

قال الشافعى رضى الله عنه : فلما ازمعت[1] السفر زودنى مالك من اقط وصاع من شعير وصاع من تمر وسقاء فيه ماء ، فلما كان فى السحر وانفجر الفجر حمل بعض الاداوة وسار معى الى البقيع ، فصاح بعلو صوته ... من معه كراء راحلة الى الكوفة ؟

فاقبلت عليه وقلت له : بم تكترى ولاشئ معك ولاشئ معى

فقال لى : انصرفت البارحة عنك ، وبعد العشاء الآخرة قرع على قارع الباب فخرجت اليه فاصبت ابن القاسم فسالنى قبول هدية فقبلتها ، فدفع الى صرة فيها مائة مثقال ، وقد اتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى

فاكترى لى باربعة دنانير ودفع الى باقى الدنانير وودعنى وانصرفت ،[3]

---

(١) عزمت عليه (٢) الجبن (٣) رحلة الامام الشافعى

رسالة استعطاف للسيدة زبيدة الى المامون ابن الرشيد بعد قتل ابنها الامين

كل ذنب يا امير المؤمنين وان عظم صغير فى جنب عفوك وكل زلل وان جل حقير عند صفحك وذلك الذى عودك الله فاطال مدتك وتمم نعمتك وادام بك الخير ورفع بك الشر، هذه رقعة الواله[٢] التى ترجوك فى الحيوة لنوائب الدهر وفى الممات لجميل الذكر فان رأيت ان ترحم ضعفى واستكانتى وقلة حيلتى وان تصل رحمى وتحتسب فيما جعلك الله له طالبا وفيه راغبا فافعل وتذكر من لو كان حيا لكان شفيعى اليك

[عصر المامون]

---

(١) ام جعفر زبيدة بنت جعفر بن ابى جعفر المنصور العباسى وهى ام الامين محمد بن الرشيد المرأة الفاضلة العريقة فى المجد والشرف صاحبة معروف كثير وحسنات على المسلمين واليها ينسب نهر زبيدة توفيت سنة ٢١٦ هـ ورسالتها هذه تعبر عن حزن عميق مع احترام لائق لسدة الخلافة ومعرفة دقيقة للآداب السلطانية وهى مثال بليغ للانشاء والتعبير فى مثل هذا الموقف الحرج والمنازعة النفسية

(٢) وله الرجل حزن شديداً حتى كاد يذهب عقله

جواب المواساة للمامون (١)

وصلت رقعتك يا أُمّاه احاطك الله وتولاك بالرّعايـة و
وقفت عليها وساءني ــــ شهد الله ــــ جميع ما اوضحت فيها لكن
الاقدار نافذة والاحكام جارية والامور متصرفة والمخلوقون في قبضتها
لا يقدرون على دفاعها والدنيا كلها الى شتات وكل حي الى ممات
والغدر والبغي حتف الانسان والمكر راجع الى صاحبه ، وقد أمرت
برد جميع ما اخذ لك ولم تفتقدي ممن مضى الى رحمة الله الا وجهه
وانا بعد ذلك لك على اكثر مما تختارين والسلام

[عصر المامون]

---

(١) هو ابو العباس عبد الله المامون بن هرون الرشيد ولد سنة ١٧٠ هـ وتوفي سنة [illegible] هـ كان من مفاخر بني العباس حزما وعزما وحلما وعلما وجمعا للفضائل المتشعبة وحماية للعلم واهله كان جوادا فصيحا [illegible] خفيف الروح حلو الشمائل وجوابه هذا جواب مواساة ويجمع بين عزة الملوك ولين الابناء وحلاوة التعزية وشيء من مرارة العتاب

بخيل حكيم للجاحظ (١)

قال معبد نزلنا دار الكندى اكثر من سنة نروج له الكراء ونقضى له الحوائج ونفى له بالشرط قلت قد فهمت ترويج الكراء وقضاء الحوائج فما معنى الوفاء بالشرط قال فى شرطه على السكان ان يكون له روث الدابة وبعر الشاة ونشوار العلوفة (٢) وان لا يخرجوا عظماً ولا يخرجوا كساحة (٣) وان يكون له نوى التمر وقشور الرمان والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى فى بيته وكان فى ذلك يتنزل عليهم فكانوا لطيبه وافراط بخله وحسن حديثه يحتملون ذلك . قال معبد فبينا

---

(١) هو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ولد بالبصرة ونشأ بها وتخرج فى جميع الفنون الى ... فى عصره وضرب فيها بسهم وافر وصنف والف وجمع وكتب وراسل وانشأ

كان دميم الخلقة لطيف الروح ، ذكى الفؤاد ، فكه المحاضرة اما العلم ... حقيقة ، اما الكتابة فهو فيها نابغة العرب وامام الصناعة صاحب اسلوب خاص ... ابن ... ويكاد يكون خاتمهم تمتاز كتابته بسهولة العبارة وجزالتها و... وتقطيع الجملة الى فقرات كثيرة مقفاة او مرسلة وزيادة الاطناب ... والجمل والاستطراد ومزج الجد والهزل وتحكيم الاحتكام ... والمنطق ... بالحمل الدعائية وبعد ذلك كله تصويرا لمجتمع الذى يعيش فيه الكاتب وبيان اخلاق اهل عصره وعوائدهم وهذه ميزة الجاحظ لا يشاركه فيها احد تربو مؤلفاته على مائتى كتاب من اشهرها كتاب البيان والتبيين وهو من اصول الادب وامهات الكتب كما قال ابن خلدون و كتاب الحيوان وكتاب البخلاء وديوان رسائل ، توفى سنة ٢٥٥ هـ

(٢) ما ينتشر مما يأكل الدواب من العلف (٣) الكساحة الكناسة

انا كذلك اذ قدم ابن عم لي ومعه ابن له اذار قعة منه قد جاءتني ان كان مقام هذين القادمين ليلة او ليلتين احتملناذلك وان كان اطماع السكان في الليلة الواحدة يجر علينا الطمع في الليالي الكثيرة فكتبت اليه ليس مقامهما عندنا الاشهرا او نحوه فكتب الي ان دارك بثلاثين درهما وانتم ستة لكل راس خمسة فاذ قد زدت رجلين فلا بد من زيادة خمستين فالدار عليك من يومك هذا باربعين فكتبت اليه وما يضرك من مقامهما وثقل ابدانهما على الارض التي تحمل الجبال وثقل مؤنتهما عليّ دونك فاكتب الي بعذرك لاعرفه ولم ادر اني اهجم على ما هجمت واني اقتح منه فيما وقعت فكتب اليّ الخصال التي تدعوا الى ذلك كثيرة وهي قائمة معروفة من ذلك سرعة امتلاء البالوعة[1] وما في تنقيتها ....

من شدة المؤنة ومن ذلك ان الاقدام اذا كثرت كثر المشي على ظهور السطوح المطينة وعلى ارض البيوت المجصصة والصعود على الدرج الكثيرة فينقشر لذلك الطين وينقلع الجص وينكسر العتب[2] مع انثناء الاجذاع لكثرة الوطء وتكسرها لفرط الثقل واذا كثر الدخول والخروج والفتح والاغلاق والاقفال وجذب الاقفال تهشمت الابواب وتقلعت الرزات[3]

---

(١) البالوعة ثقب او قناة في وسط الدار مثلا يجري فيها الماء الوسخ والاقذار

(٢) جمع عتبة اسكفة الباب او العليا من الاسكفتين وكل مرقاة من الدرج

(٣) الرزة حديدة يدخل فيها القفل ونحوه

واذا كثر الصبيان وتضاعفت البؤس نزعت مسامير الابواب وقلعت كل ضبة [١] ونزعت كل رزة وكسرت كل حوزة وحفر فيها ابار الدذن [٢] وهشموا بلاطها [٣] بالمداحي [٤] هذا مع تخريب الحيطان بالاوتاد وخشب الرفوف [٥] واذا كثر العيال والزوار والضيفان والندماء احتيج من صب الماء واتخاذ الحببة [٦] القاطرة والجرار الراشحة الى اضعاف ما كانوا عليه فكم من حائط قد تاكل [٧] اسفله وتناثر اعلاه واسترخى اساسه وتداعى بنيانه من قطر حب ورشح جر ومن فضل ماء البئر ومن سوء التدبير وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبز والطبيخ ومن الوقود والتسخين والنار لا تبقي ولا تذر وانما الدور حطب لها وكل شئ فيها من متاع فهو اكل لها فكم من حريق قد اتى على اصل الغلة فكلفتم اهلها اغلظ النفقة وربما كان ذلك عند غاية العسرة وشدة الحال وربما تعدت تلك الجناية الى دور الجيران والى مجاورة الابدان والاموال فلو ترك الناس حينئذ رب الدار وقدر بليته ومقدار مصيبته لكان عسى ذلك ان يكون محتملا ولكنهم يتشاءمون به ولا يزالون يستثقلون ذكره ويكثرون من لائمته وتعنيفه ثم هم يتخذون المطابخ في العلالي [٨] على ظهور السطوح

---

(١) الضبة حديدة او خشبة عريضة يضبب بها الباب (٢) اللهو واللعب (٣) البلاط الارض المستوية الملساء والحجارة التي تفرش بها الارض .

(٤) جمع مدحاة الة يستعملها البناؤن لتسوية الارض (٥) خشبة او نحوها تسد الى الحائط فتوضع عليها طرائف البيت (٦) جمع الحب بضم الحاء الجرة الكبيرة او الخابية (٧) تأكل السن او العود صار متنوبًا (٨) جمع علية وعلية بيت منفصل عن الارض ببيت ونحوه -

وان كان فى ارض الدار فضل وفى صحنها متسع مع ما فى ذلك من الخطار
بالانفس والتغرير بالاموال وتعرض الحرم ليلة الحريق لاهل الفساد
و هجومهم مع ذلك على سر مكتوم وخبئ مستور من ضيف مستخف
ورب دار مستوار ومن شراب مكروه ومن كتاب مهم ومن مال جم اريد
دفنه فاعجل الحريق اهله عن ذلك فيه ومن حالات كثيرة وامور
لايحب الناس ان يعرفوا بها ثم لا ينصبون التنانير ولا يمكنون للقدور
الاعلى متن السطح حيث ليس بينها وبين القصب والخشب الا الطين
الرقيق والشئ لا يتى هذا مع خفة المؤنة فى احكامها وامن القلوب من
المتالف بسببها فان كنتم تقدمون على ذلك منا ومنكم وانتم ذاكرون
فهذا عجب وان كنتم لم تخلفوا بما عليكم فى اموالنا ونسيتم ما عليكم
فى اموالكم فهذا اعجب ثم ان كثيرا منكم يدافع بالكراء و
يماطل بالاداء حتى اذا اجمعت اشهر عليه فر وخلى اربابها اجياعا يندمون
على ما كان من حسن تقاضيهم واحسانهم فكان جزاؤهم وشكرهم
اقتطاع حقوقهم والذهاب باقواتهم ويسكنها الساكن حين يسكنها و
كنسناها[1] ونظفناها لحسن فى عين المستاجر وليرغب فيها الناظر
فاذا خرج ترك فيها مزبلة[2] وخرابا لاتصلحه الا النفقة الموجعة ثم
لايدع مترسا[3] الا سرقه ولا سلما الا حمله ولا دقضا[4] الا اخذه ولا برادة

---

(١) كنسنا ونظفنا (٢) موضع الزبل وهو السرجين (٣) المترس خشبة توضع خلف
الباب لتدعمه (٤) ماسقط من الحديد ونحوه عند البرد

الامضى بجامعه ولايدع دق الثوب والدق فى الهاون[1] والمجاز فى ارض الدار ويدق على الاجذاع والحواضن والرواشن[2] وان كانت الدار مقرمدة[3] او بالاجر مفروشة وقد كان صاحبها جعل فى ناحية منها صخرة ليكون الدق عليها ولتكون واقية دونها دعاهم التهاون والقسوة والغش والفسولة[4] الى ان يدقوا حيث جلسوا والى ان لا يحفلوا بما افسد والمر يعط قط لذلك ارشا[5] ولا استحل صاحب الدار ولا استغفر الله منه فى السر ثم يستكثر من نفسه فى السنة اخراج عشرة دراهم ولا يستكثر من رب الدار الف دينار فى الشراء يذكر ما يصير الينا مع قلته ولا يذكر ما يصير اليه مع كثرته هذا والايام التى تنقض المبرم وتبلى الجدة وتفرق الجمع المجتمع عاملة فى الدور كما تعمل فى الصخور وتاخذ من المنازل كما تاخذ من كل رطب ويابس وكما تحمل الرطب يابسا والهشيم مضمحلا ولانهدام المنازل غاية قريبة ومدة قصيرة والساكن فيها هو كان المتمتع بها والمنتفع بمرافقها وهو الذى ابلى جدتها وعلاها وبه هرمت وذهب عمرها بسوء تدبيره فاذا قسمنا الغرم عند انهدامها باعادتها

---

(١) ما يدق فيه الدواء وغيره (٢) الروشن الكوة ج رواشن

(٣) قرمد الارض طلاها بالجص او الخزف المطبوخ (٤) الفسولة الفتور فى الهمم وعدم المروءة (٥) الارش الدية

وبعد ابتدائها وعزم ما بين ذلك من مرمتها واصلاحها ثم قابلنا
بذلك ما اخذنا من غلاتها وارتفقنا به من اكرائها اخرج على
المسكن من الخسران بقدر ما حصل للساكن من الربح الا أن الدراهم
التي اخرجناها من النفقة كانت جملة والتي اخذناها على جهة
الغلة جاءت مقطعة وهذا مع سوء القضاء والاحواج الى طول
الاقتضاء ومع بغض الساكن للمسكن وحب المسكن للساكن لان المسكن
يحب صحة بدن الساكن ونفاق سوقه ان كان تاجرا وتحرك صناعته
ان كان صانعا ومحبة الساكن ان يشغل الله عنه المسكن كيف شاء
ان شاء شغله بعينه وان شاء بزمانه وان شاء بحبس وان شاء
بموت ومدار معناه ان يشغله عنه ثم لا يبالي كيف كان ذلك
الشغل الا انه كلما كان أشد كان احب اليه وكان اجدر ان
يامن واخلق لان يسكن وعلى انه فترت سوقه او كسدت صناعته
الح في طلب التخفيف من اصل الغلة والحطيطة مما حصل عليه من
الاجرة وعلى انه ان اتاه الله بالارباح في تجارته والنفاق في صناعته
لم يران يزيد قيراطا في ضريبته ولان يعجل فلسا قبل وقته"(١)

---

(١) كتاب البخلاء للجاحظ

*

رسالة استعطاف له

ليس عندي اعزك الله سبب ولا اقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل[1] الذي لا يكون الا من نتاج[2] حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وارجو ان تكون من الغافرين، فتكون خير معتب[3]، واكون افضل شاكر، ولعل الله يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام . . . . وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت اجنحتكم، فيكون لا اعظم بركة. ولا أنمى بقية من ذنب اصبحت فيه، وبمثل ذلك رجعات قد الك - عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة، ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما،

من عاقب فقد اخذ حظه، وانما الاجر في الآخرة وطيب الذكر في الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر، وارجوا لا اضيع فيما بين كرمك وعقلك وما اكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه، وانما الفضل والثناء، العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة، وان كان العفو عظيما مستطرفا من غيركم فهو تلاد[4] فيكم، حتى

---

(١) الرجاء (٢) ما يتولد عن حسن الظن (٣) من يعطي العتبي اي الرضا

(٤) حادثا عند غيركم قديما لديكم

ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة امركم، فلا انتم عن ذلك تنكلون، ولا على سالف احسانكم تندمون، وما مثلكم الا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يمر بملأ من بنى اسرائيل الا اسمعوه شرا واسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفا ما رأيت كاليوم كلما اسمعوك شرا اسمعتهم خيرا، فقال: كل امرئ ينفق مما عنده، وليس عندكم الا الخير، ولا فى اوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذى فيه ينضح

(الرسائل للجاحظ)

القميص الاحمر لابن عبد ربه [١]

بينما المنصور فى الطواف بالبيت ليلا اذ سمع قائلا يقول اللهم انى اشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع فجزع المنصور فجلس بناحية من المسجد وارسل الى الرجل فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور ما الذى سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغى فى الارض وما الذى يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت [٢]

---

(١) ٢٤٦ — ٣٢٠ هو ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاموى بالولاء من كبار كتاب الاندلس والمؤلفين العرب وكتابه العقد الفريد [القميص الاحمر ماخوذ منه] من كتب التاريخ والادب الجليلة الممتعة تجمع علما كثيرا

(٢) ملأت

مسامعي ما امرضني فقال ان امنتني يا امير المومنين اعلمتك بالامور من اصولها ولا احتجرت[1] منك واقتصرت على نفسي فلي فيها شاغل قال فأنت آمن على نفسك فقل فقال يا امير المومنين ان الذي دخله الطمع وحال بينه وبين ما ظهر في الارض من الفساد والبغي لانت فقال فكيف ذلك ويحك يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء[2] في قبضتي والحلو والحامض عندي قال وهل دخل احداً من الطمع ما دخلك ان الله استرعاك امر عباده واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحراسا معهم السلاح ثم سجنت نفسك عنهم فيها وبعثت عمالك في جبايات الاموال وجمعها وامرت ان لا يدخل عليك احد من الرجال الا فلان وفلان نفرا سميتهم ولم تامر بان يصل المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري اليك ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وامرت ان لا يحجبوا دونك تجبي الاموال وتجمعها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه فائتمروا ان لا يصل اليك من علم اخبار الناس شئ الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل الا خوّنوه عندك ونفوه

---

(١) انحزلت عنك اوحبست ما عندي عنك

(٢) الذهب والفضة

حتى تسقط منزلته عندك فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم
الناس وهابوهم وصانعوهم فكان اول من صانعهم عمالك بالهدايا
والاموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذو المقدرة و
الثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم فامتلأت بلادك بالطمع ظلما
وبغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وانت غافل
فان جاء متظلم(١) حيل بينك وبينه فان اراد رفع قصته اليك
عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك واوقفت للناس رجلا
ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره سألوا
صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته اليك فلا يزال المظلوم يختلف اليه
ويلوذ به ويشكوا ويستغيث وهو يدفعه فاذا اجهد واخرج ثم
ظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره
وانت تنظر فما تنكر فما بقاء الاسلام وقد كنت يا امير المؤمنين
اسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد اصيب ملكهم بسمعه
فبكى يوما بكاء شديدا فحثه جلساؤه على الصبر فقال اما اني
لست ابكي للبلية النازلة ولكني ابكي لمظلوم يصرخ بالباب
فلا اسمع صوته ثم قال اما اذ قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب
نادوا في الناس ان لا يلبس ثوبا احمر الا متظلم ثم كان يركب الفيل

---

(١) تظلم شكا من الظلم.

طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما فهذا يا امير المؤمنين مشرك بالله بلغت رافته بالمشركين هذا المبلغ وانت مؤمن بالله من اهل بيت نبيه لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد اراك الله عبرا في الطفل يسقط من بطن امه ماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس له ولست الذي تعطي بل الله تعالى يعطي من يشاء ما يشاء فان قلت انما اجمع المال لشد يد السلطان فقد اراك الله عبرا في بني امية ما اغنى عنهم جمعهم من الذهب وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع[1] حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما تجمع المال تطلب غاية هي اجسم من الغاية التي انت فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة ما تدرك الا بخلاف ما انت عليه يا امير المؤمنين هل يعاقب من عصاك باشد من القتل فقال المنصور لا فقال فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود في العذاب الاليم قد رأى ما عقد عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحته يداك ومشت اليه رجلاك هل يغني عنك ما شححت

---

[1] الكراع بضم الكاف اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير

عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب
قال فبكى المنصور ثم قال ليتني لم اخلق ويحك كيف احتال لنفسي
فقال يا امير المومنين ان للناس اعلاما يفزعون اليهم في دينهم ويرضون
بهم في دنياهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم في امرك
يسددوك قال بعثت اليهم فهربوا مني قال خافوك ان تحملهم على
طريقتك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع
الظالم وخذ الفيء والصدقات على حلها واقسمها بالحق والعدل
على اهلها وانا ضامن عنهم ان ياتوك يساعدوك على صلاح
الامة وجاء الموذنون فاذنوه بالصلاة فصلى وعاد الى مجلسه
وطلب الرجل فلم يوجد ؛
[العقد الفريد لابن عبد ربه]

اطيب طعام واشعر بيت لابي الفرج الاصبهاني (١)

صنع عبد الملك بن مروان طعاما فاكثر واطاب ، ودعا

---

(١) هو ابو الفرج علي بن الحسين الاموي العلامة الكاتب صاحب كتاب الاغاني كان اخباريا نسابة شاعرا وكتاب الاغاني ذخيرة من ذخائر الادب العربي ولولاه لضاع علم جم وادب وافر ولاصبحت نواح للغة العربية جليلة مطوية على غرها ولحرمنا تلك اللغة الرقيقة العذبة التي كان يتكلم بها اهل الفن في منازلهم وعلى موائدهم وفي مجامع انبساطهم وقد وقع الاتفاق على انه لم يعمل في بابه مثله. قال الصاحب بن عباد لقد اشتملت خزانتي على مائتي الف وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميري غيره وكان يستصحب في اسفاره حمل ثلاثين جمل من كتب الادب فلما وصل اليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه عنها توفي سنة ٣٥٦ هـ ببغداد

اليه الناس فاكلوا ، فقال بعضهم : ما اطيب هذا الطعام ، ما نرى ان احدا رأى اكثر منه ولا اكل اطيب منه ، فقال اعرابي من ناحية القوم : اما اكثر فلا ، واما اطيب فقد والله اكلت اطيب منه ، وطفقوا يضحكون من قوله ، فاشار اليه عبد الملك فأدنى منه فقال : ما انت بمحق فيما تقول الا ان تخبرني بما يبين به صدق ذلك فقال : نعم يا امير المؤمنين ، بينما انا بهجر في ترب احمر في اقصى حجر اذ توفى ابي وترك كلا وعيالا ، وكان له نخل فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون الى مثلها كأن تمرها اخفاف الرباع[1] لم ير تمر قط اغلظ ولا اصلب ولا اصغر نوى ولا احلى حلاوة منها ، وكانت تطرقها أتان وحشية قد الفتها تأوى الليل تحتها ، فكانت تثبت رجليها في اصلها وترفع يديها وتعطو[2] بفيها فلا تترك فيها الا النبذ والمتفرق فاعظمني ذلك ووقع مني كل موقع ، فانطلقت بقوسي واسهمي وانا اظن اني ارجع من ساعتي ، فمكثت يوما وليلا لا اراها حتى كان السحر اقبلت فتهيأت لها فرشقتها[3] فاصبتها واجهزت[4] عليها ، ثم عمدت

---

(١) بكسر الراء جمع ربع بضم الراء وفتح الباء وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو اول النتاج شبه الثمر في نعومته ولينه بأخفاف (جمع خف) ، وفصلان الابل التي تولد في فصل الربيع وهي من انضر اولادها واكثرها لحمًا (٢) عطا يعطو عطوا تناول (٣) رشقه بالسهم رماه (٤) اجهز على الجريح شد عليه واتم قتله

الى سرتها، فافرديتها،[1] ثم عمدت الى حطب جزل[2] فجمعته الى رضف[3] و
عمدت الى زندى فقدحت واضرمت النار فى ذلك الحطب والقيت سرتها
فيها، وادركنى نوم السبات فلم يوقظنى الا حر الشمس فى ظهرى فانطلقت اليها
فكشفتها والقيت ما عليها من قذى او سواد او رماد، ثم قليت مثل الملاءة[4]
البيضاء فالقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة والمنصفة فسمعت
لها اطيطا كتداعى عامر وغطفان، ثم اقبلت اتناول الشحمة واللحمة
فاضعها بين التمرتين واهوى الى فمى احلف انى ما اكلت طعاما
مثله قط، فقال له عبد الملك لقد اكلت طعاما طيبا فمن انت؟ قال:
انا رجل جانبتنى عنعنة[6] تميم واسد وكسكسة[7] ربيعة وحوشى[8] اهل اليمن
وان كنت منهم، فقال: من ايهم انت؟ قال: من اخوالك من عذرة
قال: اولئك فصحاء الناس فهل لك علم بالشعر قال: سلنى عما
بدا لك يا امير المؤمنين، قال اى بيت قالته العرب امدح؟ قال: قول جرير

الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

(قال) وجرير فى القوم فرفع راسه وتطاول لها، ثم قال: فاى بيت
قالته العرب الخر. قال: قول جرير

---

(١) افرده الشئ قطعه وشقه واصلحه (٢) الجزل الغليظ العظيم (٣) الرضف الحجارة المحماة و
المحمى ارضفة (٤) الملاءة ثوب يلبس على الفخذين والريطة ذات دفقين (٥) جزع الشئ قطعه
(٦) عنعن لفظ فى كلامه المهموزة كالعين (٧) الكسكسة الحاق كاف المؤنث سينا عند الوقف
نحو كبس واكرمتكس فى بك واكرمتك (٨) الحوشى من الكلام الوحشى الغريب

اذا غضبت عليك بنو تميم　　　حسبت الناس كلهم غضابا

(قال) فتحرك، ثم قال له فاى بيت الهجى، قال: قول جرير

فغض الطرف انك من نمير　　　فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(قال) فاستشرف لها جرير واهتز طرب، ثم قال له: فاى بيت قالته العرب احسن تشبيها، قال: قول جرير

سرى نحوهم ليل كان نجومه　　　قنا ديل فيهن الذبال المفتل (١)

فقال جرير: جائزتى للعذرى يا امير المومنين، فقال عبد الملك: وله مثلها من بيت المال ولك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئا، وكانت جائزة جرير اربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان (٢) والكسوة، فخرج العذرى وفى يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفى اليسرى رزمة (٣) ثياب

[كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى]

عبد الله بن جعفر (٤) وطويس (٥)

حدث المدائنى قال: كان عبد الله بن جعفر معه اخوان له فى

---

(١) جمع ذبالة وهى الفتيلة شبه الجيش بليل ورماحه التى كانها نجوم بقنا ديل ذات الفتائل المفتلة وهى اجودها واقواها. (٢) الحملان ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة (٣) الرزمة بكسر الراء من الثياب وغيرها ما جمع وشد معا جمعه رزم

(٤) عبد الله بن جعفر بن ابى طالب احد سراة بنى هاشم وفتيانهم واعيان مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى عهد بنى امية واحد اجواد العرب الاربعة فى الاسلام كان دمث الخلق، عذب الشمائل، رقيق الذوق مغرما بالنعيم

(٥) اسمه عيسى بن عبد الله وكنيته ابو عبد المنعم وطويس لقب عليه مولى بنى مخزوم، كان من المبرزين فى الغناء المجيدين فيه وممن يضرب به فيه الامثال وهو الذى يضرب به المثل فى الشوم للاتفاقات التى اتفقت له توفى سنة ٩٢ هـ

عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود[1] فاسال كل شيء: فقال عبد الله: هل لكم في العقيق، وهو منتزه اهل المدينة في ايام الربيع والمطر، فركبوا دوابهم، ثم انتهوا اليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مد الفرات، فانهم لينظرون اذ هاجت السماء، فقال عبد الله لاصحابه: ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة ان تبل ثيابنا فهل لكم في منزل طويس فانه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر فقال له عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: جعلت فداءك وما تريد من طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله لا تقل ذلك فانه مليح خفيف لنا فيه انس، فلما استوفى طويس كلامهم تعجل الى منزله فقال لامرأته: ويحك قد جاء نا عبد الله بن جعفر سيد الناس فما عندك، قالت: نذبح هذه العناق[2] وكانت عندها عنيقة قد ربتها باللبن واختبز خبزا رقاقا، فبادر فذبحها وعجنت هي ثم خرج فتلقاه مقبلا اليه فقال له طويس: بابي انت وامي هذا المطر فهل لك في المنزل فتستكن فيه الى ان تكف[3] السماء، قال: اياك اريد، قال: فامض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا

---

(١) المطر الجود بفتح الجيم المطر الغزير (٢) الانثى من اولاد المعز قبل استكمالها السنة ج اعنق وعنوق (٣) ينقطع المطر

حتى ادرك الطعام، فقال : بابى انت وامى تكرمنى اذ دخلت منزلى بان تعشى عندى، قال : هات ما عندك فجاءه بعناق سمينة ورقاق، فاكل واكل القوم حتى تملا وافاعجبه طيب طعامه فلما غسلوا ايديهم قال : بابى انت وامى اتمشى معك واغنيك، قال : افعل يا طويس فاخذ ملحفة فاتزر بها وارخى لها ذنبين ثم اخذ المربع[1] فتمشى وانشأ يغنى :

يا خليلى نابنى سهدى لم تنم عينى ولم تكد

فطرب القوم وقالوا : احسنت والله يا طويس

ثم قال : يا سيدى اتدرى لمن هذا الشعر ؟

قال : لا والله ما ادرى لمن هو، الا انى سمعت شعرًا حسنًا،

قال : هو لفارعة بنت ثابت اخت حسان بن ثابت فى عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى .

فنكس القوم رؤسهم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو شقت الارض له لدخل فيها خائفًا

---

(١) المربع آلة من آلات الطرب

كتابٌ ينوبُ عن كتائب

رسالة لابن العميد[1] الى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة

كتابي وانا مترجّحٌ بين طمع فيك ويأسٍ منك واقبالٍ عليك واعراض عنك فانك تُدِلّ[2] بسابق حرمة، وتمت[3] بسالف خدمة ايسرهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية، وادنى ذلك يحبط اعمالك، ويمحق كل ما يرعى لك لاجرم انى وقفت بين ميل

---

(١) هو الاستاذ الرئيس محمد بن الحسن المعروف بابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه كان فارسي الاصل من اهل مدينة قم نشأ على الادب وثقف الكتابة ومارسها وتوسع في العلوم حتى لقب بالجاحظ الثاني

كان محبا للادب والشعر، مويلا للادباء والشعراء، مجمعا علميًا عامرًا بلغت رئاسته في الادب والكتابة وشغفت الناس بادبه حتى قالوا " بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد "

الا ان كتابته كتابة صناعة وتكلف وتانق وزخرف لا روح فيها ولا حياة وهي اشبه بالوشي والطراز منها بالادب والكتابة ولكن تفوقه في هذه الصناعة وتصرفه في ضروب الرسائل مما لا يدفع وذلك بتوسعه في فنون الكلام وطول ممارسته وحكم منصبه وشغله

ولعل يتيه لم تحظ باحسن من هذه الرسالة التي وجهها الى ابن بلكا قال الثعالبي في يتيمة الدهر "وقد اجمع اهل البصيرة في الترسل على ان رسالته التي كتبها الى ابن بلكا عند خروجه عن استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه وواسطة عقده » (٢) ادل عليه ادلالا وثق بمحبته فافرط عليه واجترأ

(٣) مت الى فلان بقرابة وصل اليه وتوسل

اليك، وميل عليك، اقدم رجلا تصدمك، واوخر اخرى عن قصدك، وابسط يدًا لاصطلامك[1] واجتياحك، واثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك، واتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضنًّا بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك، وتأميلا لفيئك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك، فقد يعزب العقل ثم يؤوب ويغرب[2] اللب ثم يثوب[3]، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الراى ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو ويكدر الماء ثم يصفو، وكل ضيقة الى رخاء، وكل غمرة فالى انجلاء، وكما انك اتيت من اساءتك بما لم تحتسبه اولياؤك فلا بدع ان تاتى من احسانك، بما لم ترتقبه اعداؤك، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت واخترت ما اخترت فلا عجب ان تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت وسوء ما آثرت، وساقيم على رسمى فى الابقاء والمماطلة ما صلح وعلى الاستيناء[4] والمطاولة[5] ما امكن، طمعًا فى انابتك، وتحكيما لحسن الظن بك، فلست اعدم فيما اظاهره من اعذار، وارادفه من انذار، احتجاجًا عليك واستدراجًا[6] لك فان يشاء الله

---

(١) صلمه واصطلمه استأصله وكذلك الاجتياح

(٢) يغرب يبعد ويغيب

(٣) يثوب يرجع (٤) التمهل (٥) طاوله مطاولة ماطله

(٦) استدرجه الى كذا قربه اليه رقاه من درجة الى درجة

يرشدك ويأخذ بك الى حظك ويسددك، فانه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير،

. . . . وزعمت انك فى طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها، واذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها، وحلبت شطريها فنشدتك الله لما صدقت عما سالتك، كيف وجدت ما زلت عنه وكيف تجد ما صرت اليه، الم تكن من الاول فى ظل ظليل، ونسيم عليل وريح بليل، وهواء غذى، وماء روى ومهاد وطئ وكن كنين، ومكان مكين، وحصن حصين، يقيك المتالف، ويؤمنك المخاوف ويكنفك من نوائب الزمان، ويحفظك من طوارق الحدثان، عززت به بعد الذلة وكثرت بعد القلة، وارتفعت بعد الضعة، وايسرت بعد العسرة، واثريت بعد المتربة[1] واتسعت بعد الضيقة، وظفرت بالولايات وخفقت فوقك الرايات ووطئ عقبك[2] الرجال، وتعلقت بك الآمال، وصرت تكاثر[3] ويكاثر بك، وتشير ويشار اليك، ويذكر على المنابر اسمك وفى المحاضر ذكرك، ففيم الآن انت من الامر، وما العوض عما عددت والخلف مما وصفت، وما استفدت حين اخرجت من الطاعة نفسك ونفضت منها كفك، وغمست فى خلافها يدك؛ وما الذى اظلك بعد

---

(١) الفاقة والفقر ويقال مسكين ذو متربة اى لاصق بالارض (٢) يقال وطئ عقبه اى مشى فى اثره (٣) كاثره غالبه وفاخره بكثرة المال والعدد

الخسار ظلها عنك ، اظل ذو ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب
قل نعم كذلك ! فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة ، واروحها في
الآجلة ، ان اقمت على المحايدة والعنود ووقفت على المشاقة والجحود ،
تامل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستنكرها ، والمس
جسدك وانظر هل يحس ولجس عرقك هل ينبض[1] وفتش ماحنا[2] عليك
هل تجد في عرضها قلبك ، وهل حلى[3] بصدرك ان تظفر بموت
سريح[4] اوموت مريح ؟ ثم قس غائب امرك بشاهده واخرشانك باوله[5] ؛

البحر

رسالة للصاحب بن عباد[6] الى ابن عميد صدرت عن كتابه اليه في وصف البحر

وصل كتاب الاستاذ الرئيس صادرًا عن شط البحر بوصف ماشاهد من عجائبه

---

(١) نبض ينبض العرق تحرك وضرب (٢) حنا عليه مال وانعطف (٣) طاب ولذ (٤) السريح معجل
(٥) يتيمة الدهر لابي منصور الثعالبي ، قال المؤلف بلغني عن ابن بلكا وكان آدب امثاله انه كان يقول والله
ماكانت لي حال عند قراءة هذا الفصل الاكما اشار اليه الاستاذ الرئيس (ابن العميد) ولقد ناب كتابه
عن الكتائب في عرك اديمي واستصلاحي ورودي الى طاعة صاحبه (يتيمة الدهر ج ٣)
(٦) ٣٢٦ - ٣٨٥ هـ هو ابو القاسم اسماعيل بن عباد ولد بطالقان من اعمال قزوين وصحب الاستاذ
الرئيس ابن العميد شابا فاشتهر بالصاحب
كان وزيرا لمويد الدولة بن بويه ثم لاخيه فخر الدولة فكان ذا الوزارتين وصاحب الدولتين
(العلم والامارة) وحائز الحسنيين (الادب والرئاسة) وهو رمز من رموز الادب الخالدة وكان سوقا
للادب والشعر يجلب اليها كل طريف ، ويرحل اليه كل اديب ويقصده كل شاعر قال الثعالبي اجتمع به
من نجوم الارض وافراد العصر وابناء الفضل وفرسان الشعر من يربي عددهم على شعراء الرشيد
اما كتابته فعلى افراز ابن العميد بزيادة في الحلية اللفظية وولع بالسجع والجناس حتى قيل فيه لو رأى سجعة
تنحل بموقعها عروة الملك ، ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه ان يتخلى عنها » وهذه الملاحظة
وان كانت شديدة ولكنها صادقة في اكثر كتاب ذلك العصر الى عصور بعده .
ولعل هذا الكتاب الذي نقدمه اقل رسائله تكلفا واغراقا في الجناس والبديع واكثرها خفة وسلامة
وجمالا قال الثعلبي في يتيمة الدهر كان ابو بكر الخوارزمي يحفظ هذا الكتاب وكثيرا ما كان يقرؤه ويعجب
السامعون من فصاحته ولواه يحفظ من الرسائل غيره (اليتيمة ج ٣)

وعاين من مراكبه ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف ارادتها، واستجابة ادواتها لها متى نادتها وركوب الناس اشباحها، والخوف بمرأى ومسمع، والمنون بمرقب ومطلع، والدهر بين اخذ وترك، والارواح بين نجاةٍ وهلك، اذا فكروا فى المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر، واذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة حبّب اليهم الغرر[1]، وعرفت ما قاله من تمنيه كونى عند ذلك بحضرته، وحصولى على مساعدته، ومن راى بحر الاستاذ كيف يزخر بالفضل، وتتلاطم فيه امواج الادب والعلم، لم يعتب على الدهر فيما يفيته من منظر البحر، ولا فضيلة له عندى اعظم من اكبار الاستاذ لاحواله واستعظامه لاهواله، كما لا شئ ابلغ فى مفاخره وانفس فى جواهره، من وصف الاستاذ له، فانى قرأت منه الماء السلسال لا الزلزال، والسحر الحرام[3] لا الحلال، وقد علم انه كتب ولما اخطر بفكره سعة صدره، فلو فعل ذلك لراى البحر وشلاً[4] لا يفضل عن التبرض[5]، وثمدًا[6] لا يكثر عن الترشف[7]

وكم من جبال جبت تشهد انك الـ

جبال وبحر شاهد انك البحر[8]

---

(١) الغرر التعريض للهلاك

(٢) السلسال الماء العذب المتحدر، والزلزال المتلاطم المصوت كماء البحر (٣) الممنوع على غيره من ان يقلده او يحكيه وان كان حلالا (٤) الوشل الماء القليل يتحلب من صخر وجبل

(٥) تبرض الماء اخذه قليلا قليلا (٦) الثمد (بسكون الميم وفتحها) الماء القليل يتجمع فى الشتاء وينصب فى الصيف او الحفرة يجتمع فيها ماء المطر ج ثماد (٧) ترشف الماء بالغ فى مصه

(٨) يتيمة الدهر للثعالبى

رسالة عتاب

لابي بكر الخوارزمي (١)

كتابي وقد خرجتُ من البلاء خروج السيف من الجلاء وبروز البدر من الظلماء وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشتاق اليه وودعتني وهي مودع لا يبكي عليه، والحمد لله تعالى على محنة يجليها ونعمة ينيلها ويوليها،

كنت اتوقع امس كتاب سيدي بالتسلية واليوم بالتهنية، فلم يكاتبني في ايام البرحاء بانها غمته ولا في ايام الرخاء بانها سرته، وقد اعتذرتُ عنه الى نفسي وجادلت عنه قلبي وقلت، اما اخلاله بالاولى فلانه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها، واما تغافله عن الاخرى فلانه احب ان يوفر على مرتبة السابق الى الابتداء ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء لتكون نعم الله تعالى موقوفة من كل جهة علي، ومحفوفة من كل رتبة بي،

فان كنت احسنت الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب لي بالاستحسان، وان كنت اسأت فليخبرني بعذره فانه اعرف مني بسره و ليرض مني باني حاربت عنه قلبي واعتذرت عن ذنبه حتى كانه ذنبي و قلت يا نفس اعذري اخاك وخذي منه ما اعطاك، فمع اليوم غد والعود احمد (٢)

---

(١) ٣٢٣ — ٣٨٣ هـ هو ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي اصله من طبرستان وولد بخوارزم ونشأ بها كان من المتكسبين بالادب الذين هاجروا فيه وجاهدوا في سبيله اتصل بسيف الدولة والصاحب بن عباد وعضد الدولة كان مبرزا في الادب راوية لاشعار العرب واخبارها وايامها، نسابة لغويا واقفا على مناحي كلام العرب وخواص تراكيب اللغة، وكان من طائفة الادباء بالجبل الذين امتلكوا ناصية البيان وتصرفوا في ضروب الكلام بكثرة ما حفظوا وبطول ما مارسوا بغير قلم سيال، وبيان سلسال، وطبع ريان، وذوق دقيق و رسائله شاهدة بذلك ولذلك فشل في مساجلته بديع الزمان الهمذاني وهو الاديب الطموح فشلا عظيما وكان ذلك سبب موته. وشعره احسن من نثره مع انه لم يشتهر الا برسائله السائرة الطائرة في الآفاق.

(٢) رسائل ابي بكر الخوارزمي

المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذانى (١)

حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت بالبصرة ومعى ابو الفتح الاسكندرى رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه ، والبلاغة يأمرها فتطيعه ، وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت الينا مضيرة (٢) تثنى على الحضارة وتترجرج (٣) فى الغضارة (٤) وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة (٥) فى قصعة يزل عنها الطرف ، ويموج فيها الظرف (٦) ، فلما اخذت من الخوان مكانها ،

---

(١) هو بديع الزمان ابو الفضل احمد بن الحسين ولد بهمذان ونشأ بها وتعلم العلم باللغتين الفارسية والعربية ورحل الى الصاحب بن عباد فاستفاد منه وقصد جرجان واقام فى الكتاب الاسماعيلية و فى سنة ٣٨٢ هـ عبر نيسابور فتجلت فيها عبقريته واملى بها اربعمائة مقامة ثم تصدى لمناظرة ابى بكر الخوارزمى وهو حامل لواء الادب فى عصره فظهر عليه وطار بذلك صيته فى الافاق ثم القى عصاه بهراة وعاش بها الى سنة ٣٩٨

كان البديع نادرة فى الذكاء وسرعة الخاطر وحضور البديهة وقوة الحفظ وكان يأتى فى الانشاء بروائع ونوادر وهو الذى سبق الى انشاء المقامات وقد اعترف بتقدمه وسبقه الحريرى فى مقدمة مقاماته ، ونثر البديع من قبيل الشعر المنثور اقل تكلفا من متأخريه ومن كثير من معاصريه و متقدميه يجمع بين متانة اللفظ ورشاقة المعنى وجمال الاسلوب ودقة التخيل ، وهزله ودعابته تفوق دعابة الحريرى واقل منها تكلفا

(٢) المضيرة لحم يطبخ باللبن المضير وهو الحامض (٣) توجرج تحرك وترجرج الشئ فى محله جاء وذهب
(٤) الغضارة القصعة (٥) هذا لان معاوية رضى الله عنه كان معروفا فى عصره بحسن الذوق وطيب الطعام وتنويعه (٦) الظرف الكياسة والحذق والبراعة

ومن القلوب اوطانها، قام ابو الفتح الاسكندري يلعنها وصاحبها، ويمقتها وآكلها، وثلبها وطابخها، وظنناه يمزح فاذا الامر بالضد، واذا المزاح عين الجد، وتنحى عن الخوان، وترك مساعدة الاخوان ورفعناها فارتفعت معها القلوب وسافرت خلفها العيون وتحلبت[1] لها الافواه وتلمظت[2] لها الشفاه، واتقدت لها الاكباد، ومضى فى إثرها الفؤاد، ولكنا ساعدناه على هجرها، وسألناه عن امرها، فقال: قصتى معها اطول من مصيبتى فيها ولو حدثتكم بها لم آمن المقت واضاعة الوقت. قلنا: هات. قال: دعانى بعض التجار الى مضيرة وانا ببغداد ولزمنى ملازمة الغريم[3] والكلب لاصحاب الرقيم[4] الى ان اجبته اليها وقمنا فجعل طول الطريق يثنى على زوجته، ويفديها بمهجته، ويصف حذقها فى صنعتها، وتأنقها فى طبخها ويقول: يا مولاى لو رأيتها والخرقة فى وسطها، وهى تدور فى الدور، من التنور الى القدور، ومن القدور الى التنور، تنفث بفيها النار وتدق بيديها الابزار[5]، ولو رأيت الدخان وقد غبر فى ذلك الوجه الجميل واثر فى ذلك الخد الصقيل لرأيت منظرا تحار فيه العيون، وانا أعشقها لانها تعشقنى ومن سعادة المرء ان يرزق المساعدة من حليلته، وان يسعد بظعينته[6]،

---

(١) تحلب سال (٢) تلمظ تتبع بلسانه بقية الطعام فى الفم واخرج لسانه فمسح شفتيه.

(٣) الغريم صاحب الدين.

(٤) اصحاب الرقيم هم اصحاب الكهف.

(٥) ابزار جمع بزر التوابل التى توضع فى الطعام (٦) الظعينة فى الاصل الجمل يظعن عليه ثم الهودج ثم اطلق على المرأة على حد تسمية الشئ باسم الشئ لقربه منه

ولاسيما اذا كانت من طينته، وهي ابنة عمي لحًا[1] وطينتها طينتي، ومدينتها مدينتي، وعمومتها عمومتي، وأرومتها أرومتي[2] لكنها اوسع مني خلقا، وأحسن خلقا، وصدعني بصفات زوجته حتى انتهينا الى محلته، ثم قال: يا مولاي ترى هذه المحلة هي أشرف محال بغداد يتنافس الاخيار في نزولها، ويتغاير الكبار في حلولها، ثم لا يسكنها غير التجار، وانما المرء بالجار، وداري في السطة من قلادتها، والنقطة من دائرتها، كم تقدر يا مولاي انفق على كل دار منها، قله تخمينا، ان لم تعرفه يقينا قلت: الكثير، فقال يا سبحان الله ما اكبر هذا الغلط، تقول الكثير فقط، وتنفس الصعداء[3] وقال: سبحان من يعلم الاشياء وانتهينا الى باب داره، فقال: هذه داري كم تقدر يا مولاي انفقت على هذه الطاقة[4] انفقت والله عليها فوق الطاقة، ووراء الفاقة، كيف ترى صنعتها وشكلها، أرأيت بالله مثلها، انظر إلى دقائق الصنعة

---

(١) يقال: فلان ابن عمي لحًا اى لاصق

(٢) الارومة الاصل

(٣) الصعداء التنفس الطويل من هم او تعب.

(٤) الطاقة ما عطف من الابنية اى جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك والكلمة فارسية

فيها وتأمل حسن تعريجها وكانما خطّ بالبركار[١] وانظر الى حذق النجار في صنعة هذا الباب، اتخذه من كم؟ قل: ومن اين اعلم! هو ساج[٢] من قطعة واحدة لا مأروض[٣] ولا عفن[٤] إذا حرك أنّ، وإذا نقر طنّ، من اتخذه ياسيدي؟ اتخذه ابو اسحاق بن محمد البصري وهو والله رجل نظيف الاثواب بصير بصنعة الابواب، خفيف اليد في العمل، لله در ذلك الرجل، بحياتي لا استعنت الا به على مثله، وهذه الحلقة تراها اشتريتها في سوق الطرائف من عمران الطرائفي بثلاثة دنانير معزية وكم فيها ياسيدي من الشبه[٥] فيها ستة ارطال وهي تدور بلولب[٦] في الباب بالله دوّرها، ثم انقرها وابصرها، وبحياتي عليك لا اشتريت الحلق الا منه فليس يبيع الا الاعلاق[٧] ثم قرع الباب ودخلنا الدهليز وقال: عمرك الله يا دار ولا خربك يا جدار فما امتن حيطانك واوثق بنيانك واقوى اساسك، تأمل بالله معارجها وتبين دواخلها وخوارجها، وسلني: كيف حصلتها؟ وكم من حيلة احتلتها، حتى عقدتها، كان لي جار يكنى أبا سليمان يسكن هذه المحلة

---

(١) البركار آلة لتحديد الدوائر (٢) الساج شجر عظيم صلب الخشب

(٣) المأروض التي تأكلها الارضة (٤) عفن الشيء اذا فسد من ندوة اضافية (٥) الشبه النحاس الاصفر

(٦) اللولب آلة من خشب او حديد ذات محور ذي دوائر ناتئة

(٧) الاعلاق جمع علق الشيء النفيس

وله من المال ما لا يسعه الخزن، ومن الصامت[1] ما لا يحصره الوزن، مات رحمه الله وخلف خزفاً اتلفه بين الخمر والزمر[2] ومزقه بين النرد[3] والقمر واشفقت ان يسوقه قائد الاضطرار، الى بيع العقار، فيبيعها فى اثناء الضجر، اوجعلها عرضة للخطر، ثم اراها، وقد فاتنى شراها، فاتقطع عليها حسرات، الى يوم الممات، فعمدت الى اثواب لا تمض[4] تجار تمرا فحملتها اليه، وعرضتها عليه، وساومته على ان يشتريها نسية[5] والمدبر[6] يحسب النسية عطية، والمتخلف يعتدها هدية، وسألته وثيقة باصل المال ففعل وعقدها لى، ثم تغافلت عن اقتضائه حتى كادت حاشية حاله ترق فأتيته فاقتضيته، واستمهلنى فانظرته، والتمس غيرها، من الثياب فاحضرته، وسألته ان يجعل داره رهينة لدى، ووثيقة[7] فى يدى ففعل ثم درجته بالمعاملات الى بيعها حتى حصلت لى بجد[8] صاعد وبخت مساعد، وقوة ساعد، ورب ساع لقاعد، وانا بحمد الله مجدود[9] فى مثل هذه الاحوال محمود، وحسبك يا مولاى انى كنت منذ ليال نائماً فى البيت مع من فيه اذ قرع علينا الباب، فقلت: من الطارق

---

(١) المال ما ملكته من جميع الاشياء واكثر ما يطلق عند العرب على الابل لانها كانت اكثر اموالهم والمال الصامت ما يكون من المعادن (٢) الزمر الصوت والغناء (٣) النرد لعبة الطاولة والقمر القمار

(٤) تمض تحرك وتجارة لا تتحرك اى كاسدة غير نافقة (٥) اى بتأجيل الثمن

(٦) المدبر الذى ادبرت حالته الى الفقر، وكذا المتخلف الذى يختلف عن الناس فى سوء حظه وتأخر حاله

(٧) الوثيقة الصك الذى يكتب فيه الدين

(٨) الجد الحظ (٩) مجدود ذو جد وحظ

المنتاب، فاذا امرأة معها عقد لآل، في جلدة ماء ورقة آل[1] تعرضه للبيع، فأخذته منها اخذة خلس، واشتريته بثمن بخس، وسيكون له نفع ظاهر، وربح وافر، بعون الله تعالى ودولتك، وانما أحدثتك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدى في التجارة، والسعادة تنبط الماء من الحجارة[2]، الله اكبر لا ينبئك اصدق من نفسك، ولا اقرب من امسك، اشتريت هذا الحصير في المناداة[3]، وقد اخرج من دور آل الفرات وقت المصادرات[4] وزمن الغارات، وكنت اطلب مثله منذ الزمن الاطول فلا اجد، والدهر حبلى ليس يدرى ما يلد[5]. ثم اتفق انى حضرت باب الطاق، وهذا يعرض فى الاسواق، فوزنت فيه كذا وكذا دينارا، تأمل بالله دقته ولينه وصنعته، ولونه فهو عظيم القدر لا يقع مثله الا فى الندر، وان كنت سمعت بأبى عمران الحصيرى فهو عمله، وله ابن يخلفه الآن فى حانوته لا يوجد اعلاق الحصر الا عنده فبحياتى لا اشتريت الحصر الا من دكانه، فالمؤمن ناصح لاخوانه لاسيما من تحرم بخوانه[6] ونعود الى حديث المضيرة، فقد حان وقت الظهيرة، يا غلام الطست والماء، فقلت

---

(١) الآل السراب اى هذه اللآلىء هى كالماء صفاء والسراب رقة (٢) انبط الماء اخرجها

(٣) المناداة البيع بالمزاد العلنى (فى العرف الجديد) وهو ان ينادى على شئ ويعطى فيه احد ثم يزيد عليه ثان وثالث حتى يشتريه احد بثمن عال (٤) صادره بتى طالبه به ملحفا

(٥) الحبلى الحامل وهو مثل يضرب لما يحصل من غير ترقب وعلم سابق كقول الشاعر ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا

(٦) كناية تصغيرى من كان ضيفا عنده يحل مرة وجب له حق ويثبت له حرمة عنده بالضيف يصح له [illegible]

الله اكبر، بما اقرب الفَرَج، وسهل المخرج، وتقدم الغلام، فقال ترى هذا الغلام، انه رومى الاصل عراقى المنشء، تقدّم يا غلام و احسر عن راسك وشمر عن ساقك، وانض[1] عن ذراعك، وافتر[2] عن اسنانك واقبل وادبر، ففعل الغلام ذلك، وقال التاجر، بالله من اشتراه؟ اشتراه والله ابو العباس، من النخاس[3]، ضع الطست، وهات الابريق، فوضعه الغلام وأخذه التاجر وقلبه وأدار فيه النظر ثم نقره، فقال: انظر الى هذا الشبه كانه جذوة اللهب، او قطعة من الذهب، شبه الشام، وصنعة العراق، ليس من خلقان[4] الاعلاق، قد عرفت دور الملوك ودارها[5] تامل حسنه وسلنى متى اشتريته؟ اشتريته والله عام المجاعة وادخرته لهذه الساعة، يا غلام، الابريق، فقدمه، واخذه التاجر فقلبه، ثم قال: وانبوبه منه، لا يصلح هذا الابريق الا لهذا الطست، ولا يصلح هذا الطست الا مع هذا الدست[6] ولا يحسن هذا الدست الا فى هذا البيت، ولا يجمل هذا البيت الا مع هذا الضيف، ارسل الماء يا غلام، فقد حان وقت الطعام، بالله ترى هذا الماء ما اصفاه ازرق كعين السنور، وصاف كقضيب البلور، أُستقى من الفرات، واستعمل بعد البيات، فجاء كلسان الشمعة فى صفاء الدمعة وليس الشان فى السقاء، الشان فى الاناء، لا يدلك على نظافة اسبابه.

---

(١) انض اى جرد (٢) افتر الرجل ضحك ضحكا حسنا

(٣) النخاس الذى يبايع الرقيق والدواب والاطلاق على السوق التى يباع فيها الرقيق (٤) الخلقان جمع خلق الثوب البالى

(٥) اى طاف فيها من دار الى دار (٦) الدست صدر البيت والمجلس

اصدق من نظافة شرابه ، وهذا المنديل سلني عن قصته ، فهو نسج جرجان ، وعمل ارجان ، وقع الي فاشتريته فاتخذت امرأتي بعضه سراويلا واتخذت بعضه منديلا ، دخل في سراويلها عشرون ذراعًا ، وانتزعت من يدها هذا القدر انتزاعًا . واسلمته الى المطرز[1] حتى صنعه كما تراه وطرزه ، ثم رددته من السوق ، وخزنته في الصندوق ، وادخرته للظراف من الاضياف ، لم تذله عرب العامة بايديها ، ولا النساء لماقيها[2] فلكل علق يوم ولكل آلة قوم ، يا غلام الخوان ، فقد طال الزمان ، والقصاع فقد طال المصاع[3] ، والطعام ، فقد كثر الكلام ، فأتى الغلام بالخوان وقلبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان وعجمه[4] بالاسنان ، وقال : عمر الله بغداذ فما أجود متاعها ، واظرف صناعها ، تأمل بالله هذا الخوان وانظر الى عرض متنه ، وخفة وزنه ، وصلابة عوده وحسن شكله فقلت : هذا الشكل ، فمتى الاكل ، فقال : الآن ، عجل يا غلام الطعام لكن الخوان قوائمه منه ، قال ابو الفتح : فجاشت[5] نفسي وقلت : قد بقي الخبز وآلاته ، والخبز وصفاته والحنطة من اين اشتريت اصلا ، وكيف اكترى لها حملا ، وفي اي رحى طحن ، واجانة[6] عجن واي تنور سجر[7] وخبازا استأجر

---

(١) طرز الثوب زينه بالخيوط الملونة والرسوم وما شاكلها

(٢) المآقي جمع موق وهو مجرى الدمع من العين او مقدمها او مؤخرها

(٣) المصاع من تصاعوا في الحرب تقاتلوا وتجالدوا (٤) عجمه عضه ويقال عجم عوده يعجمه للاختبار والنظر

(٥) جاشت النفس ثارت من حزن او غضب (٦) الاجانة الاناء الذي يعجن فيه

(٧) سجر التنور احماه وهو الكانون يخبز فيه

وبقى الحطب من اين احتطب، ومتى جلب، وكيف صفف حتى جفف، وحبس حتى يبس، وبقى الخباز ووصفه، والتلميذ ونعته، والدقيق ومسدحه والخمير وشرحه، والملح وملاحته، وبقيت السكرجات[1] من اتخذها، وكيف انتقدها[2]، ومن استعملها، ومن عملها، والخل كيف انتقى عنبه او اشترى رطبه، وكيف صهرجت[3] معصرته، واستخلص لبه وكيف قير[4] حُبُّه وكم ليساوى دنه[5]، وبقى البقل كيف احتيل له حتى قطف، وفى اى مبقلة رصف، وكيف تؤنق حتى نظف، وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها، ووفى شحمها، ونصبت قدرها واججت نارها ودقت ابزارها، حتى أجيد طبخها وعقد مرقها[6]، وهذا خطب يطم وامر لايتم فقمت فقال: اين تريد، فقلت حاجة اقضيها، فقال: يا مولاى تريد كنيفا يزرى بربيعى[7] الامير، وخريفى الوزير، قد جصص[8] اعلاه وصهرج اسفله وسطح سقفه وفرشت بالمرمر ارضه، يزل عن حائطه الذر[9] فلا يعلق

---

(١) السكرجة اناء صغير يوكل فيه الشئ القليل من الادم

(٢) انتقدها استخلصها من صاحبها

(٣) من صهرج الحوض طلاه (٤) قيرطلى بالقار والحب الجرة

(٥) الدن الجرة الكبيرة: الراقود عظيم لايقعد الاان يحفر له (٦) عقد المرق اوالعسل غلظ

(٧) الربيعى مكان الاقامة فى الخلاء وقت الربيع وكذا الخريفى فى الخريف

(٨) جصص طلاه بالجص

(٩) الذر صغار النمل

ويمشي على ارضه الذباب فيزلق عليه غيرانه(١) من خليطي ساج وعاج ،
مزدوجين احسن ازدواج يتمنى الضيف ان ياكل فيه فقلت ، كل انت
من هذا الجراب لم يكن الكنيف فى الحساب ، وخرجت نحو الباب واسرعت
فى الذهاب وجعلت اعدو وهو يتبعنى ويصيح يا ابا الفتح المضيرة ، وظن
الصبيان ان المضيرة لقب لى فصاحوا صياحه ، فرميت احدهم بحجر من
فرط الضجر فلقى رجل الحجر بعمامته ، فغاص فى هامته ، فأُخذت من
النعال بما قدم وحدُث ومن الصفع بما طاب وخبث وحشرت الى الحبس
فاقمت عامين فى ذلك النحس فنذرت ان لاآكل مضيرة ما عشت ، فهل أنا
فى ذا يا آل همذان ظالم ؟ قال عيسى بن هشام : فقبلنا عذره ، ونذرنا
نذره ، وقلنا : قديما جنت المضيرة على الاحرار وقدمت الأراذل
على الاخيار (٣)

---

(١) الغيران جمع غار مدخل الفم او الاخدود بين الجبلين : واراد به المنفرج بين الالواح

(٢) حدث بالفتح واذا ذكر مع قدم ضم اتباعا

(٣) مقامات بديع الزمان الهمذانى

المقامة الزبيدية للحريرى[1]

اخبر الحرث بن همام قال لما جُبت البيد، الى زبيد[2]، صحبنى غلام قد كنت ربيته الى ان بلغ اشده وثقفته حتى اكمل رشده، وكان قد أنس بأخلاقى، وخبر مجالب[3] وفاقى، فلم يكن يتخطى مرامى، ولا يخطى فى المرامى، لاجرم ان قربه[4] التاطت[5] بصفرى[6] واخلصته لحضرى وسفرى فالوى[7] به الدهر المبيد[8]، حين ضمتنا زبيد، فلما شالت نعامته[9] وسكنت نامته[10] بقيت عاما، لا اسيغ طعاما، ولا اريغ[11] غلاما، حتى الجأتنى

---

(1) ٤٤٦ – ٥١٦ هـ محمد القاسم بن على البصرى نشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها واشتهر فى فنون الادب وبرز على الاقران وكان من اوعية العلم راوية حافظا للاخبار والاشعار، وقد اشتهر بمقاماته حتى لا تذكر الا انتقل الذهن اليه وقد سحرت قلوب الناس وفتنت انظار الادباء وبقيت اشهر كتاب والمثال الوحيد للنثر العربى فى بعض الاقطار لعدة قرون ولها اثر بليغ فى اساليب الكتاب، ينسجون على منوالها ويتفاخرون بتقليدها.

تمتاز كتابة الحريرى بالتكلف والمبالغة فى الصنعة وترجيح جانب اللفظ على جانب المعنى والتزام شديد للقوافى ووحدة الاسلوب وجمالة القول فاسلوبه اسلوب صناعى يرى صوره على ان كتاب المقامات قد تضمن ثروة ادبية ضخمة لا يستهان بمقدارها، فهو قاموس لمفردات المفردات اللغوية والنوادر النحوية والامثال العربية والاحاجى النحوية ولعل ذلك هو سر عكوف الناس عليه ودراستهم له

(2) بلدة باليمن بينها وبين صنعاء اربعون فرسخا (3) عرف كيف يرضينى وكيف يجلب موافقتى ومحبتى

(4) الامر الصالحة (5) التصقت (6) اى بقلبى (7) اهلكه (8) اى المهلك (9) اى مات وهو من كناية يقال شالت نعامة القوم اذا تفرقوا وارتحلوا او ذهب عزهم او ماتوا والنعامة باطن القدم وهى تنتصب عند الموت (10) حركته التى تنم عليها تراسلها صوت الاسد وغيره (11) لا ابتغى اى لا اطلب.

شوائب[1] الوحدة ومتاعب القومة والقعدة ـ الى ان اعتاض عن الدر الخرز[2] وارتاد[3] من هو سداد من عوز[4] ـ فقصدت من يبيع العبيد ـ بسوق زبيد ـ فقلت اريد غلامًا يعجب إذا قلب[5] ويحمد إذا جرب، وليكن ممن خرجه[6] الاكياس[7] واخرجه الى السوق الافلاس فاهتزكل منهم لمطلبى ووثب، وبذل تحصيله[8] عن كثب[9]، ثم دارت الاهلة دورها[10] وتقلبت كورها وحورها[11]، ومايجز[12] من وعودهم وعد، ولاسح لها رعد[13]، فلما رأيت النخاسين[14]، ناسين اومتناسين، علمت ان ليس كل من خلق يفرى[15]، وان لم يحك جلدى مثل ظفرى[16]، فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض[17]، فانى لاستعرض الغلمان واستغرق الاثمان، اذ عارضنى رجل قد اختطم بلثام وقبض على

---

(١) اى اخلاطها واكدارها (٢) فصوص من حجارة (٣) الطلب، (٤) اى ما يسد عند الاحتياج ويستغنى به عن غيره والسداد بالكسر ما يسد به القارورة والخلل (٥) اى فطن

(٦) اى ممن علمه ودربه (٧) العقلاء ذووالكياسة وهى العقل (٨) اتفق وجوده وحصوله

(٩) اى عن قرب (١٠) اى مرت شهور السنة الى ان جاء الشهر الذى كنت سالتهم فيه ووعدنى بتحصيله

(١١) اى تمامها ونقصانها من قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور (١٢) اى ما حصل وما انقضى

(١٣) كناية عن عدم وفاء ما وعدوه به (١٤) الدلالين فى الرقيق (١٥) خلق الشى صنعه وقدره والفرى القطع يريد ان ليس كل من وعد يفى اوليس كل الناس يقضى الحوائج (١٦) هذا مثل يضرب فى ترك الاتكال على الناس

(١٧) اى الدنانير والدراهم

زند[١] غلام وقال :-

من يشترى منى غلاما صنعا[٢] فى خلقه وخلقه قد برعا

بكل ما نطت[٣] به مضطلعا[٤] يشفيك إن قال وان قلت وعى

وان تصبك عثرة يقل لعا[٥] وان تسمه[٦] السعى فى النار سعى

وان تصاحبه ولو يوما رعى وان تقنعه بظلف قنعا

وهو على الكيس الذى قد جمعا مافاه[٧] قط كاذبا ولا ادعى

ولا اجاب مطمعا حين دعا ولا استجاز نث[٨] سرا ودعا

وطالما ابدع فيما صنعا وفاق فى النثر وفى النظم معا

والله لولا ضنك عيش صدعا وصبية اضحوا عراة جوعا

ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تاملت خلقه القويم وحسنه الصميم، خلته من ولدان جنة النعيم، وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم، ثم استنطقته عن اسمه، لا لرغبة فى علمه، بل لانظر اين فصاحته من صباحته، وكيف لهجته من بهجته، فلم ينطق بحلوة ولا مرة[٩]

---

(١) هو الساعد من اليد (٢) حاذقا بالصناعة (٣) اى علقته به (٤) قويا بحمله

(٥) اى سلمت وغبوت وهى كلمة تقال للعاثر معناها اقال الله عثرتك وطلك وغاك

(٦) تكلفه (٧) ما نطق (٨) نشر

(٩) اى بكلمة حسنة ولا قبيحة

ولافاه فوهة ابن امة ولاحرة ، فضربت عنه صفحا[١] وقلت له قبحا لعيك وشقحا[٢]، فخار فى الضحك وانجد[٣]، ثم انغض راسه[٤] الى وانشد :-

يامن تذوب غيظه اذلم اجد	باسمى له ما هكذا من ينصف
ان كان لايرضيك الا كشفه	فاصخ[٥] له انا يوسف انا يوسف[٦]
ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن	فطنا عرفت وما اخالك تعرف

قال فسرى عنى[٧] بشدوه ، واستبى لبى[٨] بحوه ، حتى شدهت[٩] عن التحقيق وأنسيت قصة يوسف الصديق ، ولم يكن لى هم الاسامة مولاه فيه ، واستطلاع طلع[١٠] الثمن لاوفيه ، وكنت احسب انه سينظر شزرا الى ، ويغلى السيمة[١١] على ، فما حلق[١٢] الى حيث حلقت ، ولا اعتلق بما به اعتلقت ، بل قال إن الغلام إذا ترمته ، وخفت مؤنته ، يتبرك به مولاه ، والتحفت[١٣] عليه هواه ، وانى لاوثر تحبيب هذا الغلام اليك ، بان اخفف ثمنه عليك ، فزن مائتى درهم ان شئت ، واشكر لى ماحييت ، فنقدته المبلغ فى الحال ، كما ينقد فى الرخيص الحلال ،

---

(١) غرضت واملت عنه جانبا (٢) بعدا (٣) اى بالغ فيه وخفض رأسه مرة ورفعه اخرى (٤) حركه متعجبا على سبيل الاستهزاء ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم (٥) اى استمع (٦) يعنى انا ابو الايجوز ببيعى يشير به الى بيع يوسف الصديق عليه السلام (٧) اى اذهب غيظى من سريت عنه الثوب اذا نزعته (٨) اى ملك قلبى واسره (٩) تحيرت (١٠) اى قدره (١١) اى القيمة (١٢) دار ولاحام من قولهم حلق الطائر اذا ارتفع فى طيرانه اى لم يحم حول ما خطر بفكرى (١٣) اشتمل

ولم يخطر لي ببال، ان كل مرخص غال، فلما تحققت الصفقة [١]، وحقت الفرقة هملت [٢] عينا الغلام، ولا هملان دمع الغمام، ثم اقبل على صاحبه وقال :-

لحاك الله [٣] هل مثلي يباع ... لكيما تشبع الكرش [٤] الجياع

وهل في شرعة [٥] الانصاف اني ... أكلف خطة [٦] لا تستطاع

وان ابلى بروع بعد روع ... ومثلي حين يبلى يراع

اما جربتني فخبرت مني ... نصائح لم يمازجها خداع

وكم ارصدتني شركا لصيد ... وغدت وفي حبائلي السباع

ونطت بي المصاعب [٧] فاستقادت [٨]

مطاوعة وكان بها امتناع

واي كريهة لم ابل [٩] فيها ... وغنم لم يكن لي فيه باع

وما أبدت لي الايام جرما ... فيكشف في مصارمتي القناع

ولم تعثر بحمد الله مني ... على عيب يذم او يذاع

فاني ساغ عندك نبذ عهدي ... كما نبذت براتيها [١٠] الصناع [١١]

---

(١) البيعة (٢) سالت وسكبت (٣) اي اهلكه (٤) الادية عيال الرجل من صغار ولده يقال جاء بجركرشه اي عياله (٥) الشرعة الماء المورود والمراد بها هنا الطريقة (٦) مشقة (٧) جمع مصعب وهو الفحل (٨) المزاد الشدائد (٩) انقادت (١٠) ابلي في الحروب اظهر فيها جلادة (١٠) البراية ما يلحق من الشئ الذى يصنع وما ينحت من الاديم والقلم عند بريه (١١) المرأة الحاذقة بالصنعة.

ولم سمحت تورونك[1] بامتهاني[2] | وان اشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني | حديثك يوم جدّ بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا | سكاب[3] فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف[4] لكن | طباعك ذو قوا تلك الطباع
على انى شأ نشد عند بيعى | أضاعونى[5] واى فتى اضاعوا

قال فلما وعى الشيخ ابياته، وعقل مناغاته[6]، تنفس الصعداء وبكى حتى ابكى البعداء ثم قال لى إنى احل هذا الغلام محل ولدى، ولا اميزه عن افلاذ كبدى[7]، ولولا اخلو مراحى[8]، وخبو مصباحى، لما درج عن عشى، الى ان يشيع نعشى، وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين، والمؤمن هين لين[9] فهل لك فى تسلية قلبه، وتربية كربه، بان تعاهدنى على الاقالة فيه متى استقلت[10] وان لا تستثقلنى اذا ثقلت. ففى الآثار المنتقاة، المروية عن الثقات، من اقال نادماً بيعته، اقاله الله عثرته، قال الحرث بن همام فذ عمدته وعداً

---

(1) نفسك (2) اى باذلالى واصل المهنة الخدمة والماهن الخادم (3) اسم فرس لرجل من بنى تميم طلبه منه بعض الملوك فمنعه اياه وانشد ابيت اللعن ان سكاب علق ؛ نفيس لا يعار ولا يباع

(4) الطرف الفرس الكريم (5) شطر بيت وتمامه ؛ اضاعونى واى فتى اضاعوا ؛ ليوم كريهة وسداد ثغر

(6) اى كلامه واصل المناغاة تكلم الطفل [illegible] و يحببه كما تفعل الامهات باولادها والنغية كالنغمة

(7) الافلاذ جمع فلذة بالكسر وهى القطعة (8) مفرحى

(9) اى سهل الاخلاق (10) اقال البيع فسخه

(11) اى طلبت الاقالة

ابرزه الحياء ، وفى القلب اشياء ، فاستد فى حينئذ الغلام اليه و قبل ما بين عينيه ، وانشد والدمع يرفض[١] من جفنيه

خفض فدتك النفس ما تلاقى	من برحاء[٢] الوجد والاشفاق
فما تطول مدة الفراق	ولا تنى[٣] كاشب التلاقى

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى ، وشمر ذيله وولى فلبث الغلام فى زفير[٤] وعويل[٥] ، ريثما يقطع مدى ميل[٦] فلما استفاق وكفكف دمعه المهراق ، قال اتدرى لم اعولت ، وعلام عولت ، فقلت اظن فراق مولاك ، هو الذى ابكاك ، فقال انك لفى واد وانا فى واد[٧] ، ولكم بين مريد ومراد ، ثم انشد

لم ارابك والله على الف ترح[٨]	ولا على فوت نعيم وفرح
واذا مدمع اجفانى سفح	على غبى لحظه حين طمح[٩]
وورطه[١٠] حتى تعنى[١١] وافتضح	وضيع المنقوشة البيض الوضح[١٢]

---

(١) اى يترشش ويتفرق (٢) شدة (٣) اى تفتر وتضعف (٤) هو اخراج النفس بشدة

(٥) اى بكاء بصياح (٦) هو مد البصر او ثلاثة الاف ذراع

(٧) مثل يضرب فى اختلاف المقاصد اى بينى وبينك بون بعيد (٨) بعد (٩) ارتفع

(١٠) اوقعه فى ورطة (١١) تعب

(١٢) الوضح الدرهم الصحيح

ويك اما ناجتك هاتيك الملح[1] بأننى حر وبيعى لم يبح
اذ كان فى يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت[2] مقاله فى مرآة المداعب، ومعرض الملاعب فصلب تصلب المحق، وتبرأ من طينة الرق[3] فجلنا فى مخاصمة، اتصلت بلاكمة[4] وافضت[5] الى محاكمة[6] فلما اوضحنا للقاضى الصورة وتلونا عليه السورة[7] قال ألا إن من انذر، فقد أعذر[8] ومن حذر، كمن بشر، ومن بصر، فما قصر، وان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت[9] ونصح لك فما وعيت، فاستر داء بلهك[10] واكتمه، ولم نفسك ولا تلمه، وحذار[11] من اعتلاقه[12] والطمع فى استرقاقه فانه حر الاديم[13] غير معرض للتقويم[14] وقد كان ابوه احضره أمس، قبيل أفول[15] الشمس، واعترف بانه فرعه الذى انشاه[16] وان لاوارث سواه، فقلت للقاضى أو تعرف أباه، اخزاه الله، فقال

---

(١) الكلمات المتحسنة (٢) تصورت (٣) اى استنكف وتحاشى عن كونه رقيقا (٤) من اللكم وهو الضرب بجمع الكف (٥) وصلت (٦) هى الذهاب الى الحاكم (٧) اراد بها القصة (٨) اى من حذرك ما يحل بك فقد اعذر اى صار معذورا عندك (٩) اى فما انتبهت ولا انكففت (١٠) البله سلامة القلب وقلة الفطنة فى امور الدنيا

(١١) اسم فعل بمعنى احذر (١٢) امساكه (١٣) اى الجلد والمراد ليس به شائبة رق (١٤) اى لجعله ذا قيمة كالمبيعات (١٥) غروبها (١٦) يعنى انه ابنه الذى ولده

وهل يجهل ابو زيد الذى جرحه جبار[١] وعند كل قاض له أخبار وإخبار فتحرقت حينئذ وحولقت[٢]، وافقت ولكن حين فات الوقت، وايقنت ان لثامه كان شرك مكيدته، وبيت قصيدته[٣] فنكس طرفى مالقيت والبيت، ان لا اعامل ملثما مابقيت ولم ازل اتاوه لخسر صفقتى، وافتضاحى بين رفقتى، فقال لى القاضى، حين رأى امتعاضى[٤]، وتبين حرار تماضى[٥]، ياهذا ماذهب من مالك ماوعظك[٦] ولا اجرم اليك من ايقظك فاتعظ بما نابك، واكاتم اصحابك ما اصابك، وتذكر ابدًا ماادهمك لتقى الذكرى درا همك، وتخلق بخلق من ابتلى فصبر، وتجلت له العبر فاعتبر، قال الحرث ابن همام فودعته لابسا ثوب الخجل والحزن، ساحبا ذيلى الغبن والغبن[٧]، ونويت مكاشفة ابى زيد بالهجر، و

---

(١) فى الحديث جرح العجماء جبار اى هدر لا قصاص فيه (٢) اى قلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (٣) بيت القصيدة مثل يضرب فى النادر العزيز والمعنى ان تتمته اغرب مكائده واعجب مصائده (٤) الامتعاض القلق والتوجع والتحرق

(٥) حرقة توجعى يقال رمضت قدمه احترقت من الرمضاء وهى الحجارة التى يشتد عليها وقع الشمس فحميت وارتمض فلان كذا اشتد عليه غضبه

(٦) هذا مثل يضرب ومعناه الذى ذهب من مالك يحذرك ان يذهب منك غيره فتوجعك وندامتك عليه تدعوك الى التحرز عليه فيكون بقاؤه الك عوضا مما ذهب منك

(٧) الاول باسكان الموحدة وهو البيع [illegible] والثانى بفتحها وهو ضعف العقل

مصارمته يد الدهر[١] فجعلت اتنكب عن ذراه[٢] واتجنب ان اراه، الى ان غشيني فى طريق ضيق، فحياني تحيه شيق[٣]، فما زدت على ان عبست وما نبست[٤]، فقال ما بالك شمخت بانفك[٥] على إلفك فقلت أنسيت انك احتلت وختلت[٦]، وفعلت فعلتك التى فعلت، فاضرط بي[٧] متهاويا ثم انشد متلافيا

يامن يد امنه صد وده موحش وتجهم[٨]
وغدا ايريش[٩] ملاوما[١٠] من دونهن الاسهم
ويقول هل حرٌّ يبا ع كما يباع الادهم[١١]
اقصر[١٢] فما اذا فيه بد عا مثل ما تتوهم
قد باعت الاسباط[١٣] قبـ ـلى يوسفا وهم هم
هذا واقسم بالتى يسرى اليها المتهم[١٤]

---

(١) اى مدة نعمة الدهر وهى الحياة الى آخر عمرى (٢) اى اعدل واتباعد عن بيته
(٣) اى سلام مشتاق شديد الحب (٤) اى تكلمت
(٥) رفعت انفك تكبرا على صاحبك (٦) اى خدعت
(٧) اى تضرط واصله ان يضع المتخصص ظهر يده على فمه وينفخ فيخرج صوت
(٨) عبوس (٩) اصله وضع الريش على السهم واراد انه يهيئ له الكلام المؤلم
(١٠) جمع ملامة بمعنى اللوم (١١) العبد الاسود او الفرس الاسود (١٢) اى كف عن اللوم
(١٣) كالقبائل وهم اولاد يعقوب عليه السلام يوسف واخوته
(١٤) الكعبة شرفها الله والمتهم الذاهب الى تهامة

والطائفين بها وهم شعث النواصي[1] سهم[2]

ما قمت ذاك الموقف المخزى وعندى درهم

فاعذر اخاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال اما معذرتى فقد لاحت، واما دراهمك فقد طاحت[3]

فان كان اقشعرارك[4] منى، وازورارك[5] عنى، لفرط شفقتك على

غبر[6] نفقتك، فلست ممن يلسع مرتين، ويوطى على جمرتين

وان كنت طويت كشحك[7] واطرحت شحك لتستنقذ ما علق باشراكى،

فلتبك على عقدك البواكى، قال الحرث بن همام فاضطرنى

بلفظه الخالب وسحره الغالب، الى ان عدت له صفيا، وبه حفيا[8]

ونبذت فعلته ظهريا[9]، وان كانت شيئا فريا[10] [11]

---

(1) غبر الرؤس (2) الساهم الذابل الشفتين هزالا وقيل الساهم المتغير الوجه من وهج الشمس

(3) اى ذهبت وفنيت (4) انقباضك (5) ميلك

(6) بقية مالك الذى تنفق منه (7) اى اعرضت

(8) الحفى العطوف المبالغ فى الاكرام

(9) اى خلفت ظهرى منسية

(10) امرا عظيما

(11) مقامات الحريرى

عتاب وتأنيب للقاضي الفاضل(1)

اتصل بالقاضي الفاضل أن أخاه عبد الكريم نال الأمير علم الدين ابن النحاس بأذى وجفاء فكتب إليه يؤنبه

سبب إصدار هذه المكاتبة إلى الأخ — أصلحه الله — إعلامه ما صح عندي من الأحوال التي أخفاها والله مبديها في حق الأمير علم الدين، وبالله أقسم لئن لم ترتد وما جرحت وتستدرك ما فعلت، وتمح ما أثبت، وتستأنف ضد القبيح الذي كتبت به وشافهت. وتعتذر بالجميل فيما قاطعت الله به وبارزت، ليكونن الحديث مني بغير الكتب ولأزيلن السبب الذي قدرت به على مضرة الأصحاب، وما أشد معرفتي بأن الطباع لا تتغير وبأنك ستحوجني بعد هذا الكتاب إلى ما لا يتأخر، وبالجملة فاستدرك بفعالك لا بأيمانك لي وتنصلك(2) إلى

---

(1) ٥٢٩ — ٥٩٦ هـ هو أبو علي عبد الرحيم البيساني العسقلاني. تعلم كتابة الدواوين في مصر، ودخل ديوان قاضي الإسكندرية وامتاز بنبوغه فاشتغل في ديوان الظافر في القاهرة وقامت الدولة الأيوبية فكان وزيرا لصلاح الدين ومدبر ملكه وصاحب سره وكذلك كان لولده ثم لأخيه حتى توفي.

القاضي الفاضل من أبطال الطريقة العميدية ومجددها، طريقة الصناعة والتكلف والإسجاع والقوافي، وزاد عليها الإغراق في التورية والجناس. وكان له من التأثير في الكتابة في عصره وبعد عصره ما كان لعبد الحميد الكاتب وابن العميد لوظيفتهم ومنصبهم، ولم تزل مؤثِرة مؤثَرة عند الأدباء حتى فقدت مكانتها بتأثير ابن خلدون ومقتضيات العصر الجديد. على أنه لا تزال منها بقية
وهذه الرسالة البليغة على غير طريقته العادية

(2) تنصل إلى فلان من الجناية خرج وتبرأ عنده منها

فالدمرق النصل شاهد عجيب

وويل لمن كانت غنيمته من الايام عقد القلوب على البغضاء واطلاق

الالسنة بالمذام ولولا انني شريكك فى كل ما تستجيبه من الناس لابقيت

حبلك على غاربك وتركتك وما اخترت لنفسك ولكن

كيف يرى يرمي وليس يرامي

لكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجميل كثير منه فاذا انت

لا تشفق الامن كيسى فاشفق على نفسك ان كنت تنظر فى غد ، وعلى

بيتك ان كنت تنظر فى امس وعلى مكانك منى ان كنت لا تنظر الا فى

اليوم ، ولا تجاوبنى الا بلسان الرجل شاكرا لك فانه وان كان والله

ما ذممك وتقدم ذممتك به عنه ، وما اظن انك تذكر انني كتبت

اليك كتابا ولا كنت اوثره ، ولولا حافز[1] غيظ ما كتبته ، ولولا

علمى ان الكثير مما قيل عنك فى امر الرجل هو القليل مما فعلته

. . . لاضربت عن هذا كما اضربت عن غيره ، وستعرفك الايام

ما كنت تجهل ، والله يأخذ بناصيتك الى رضاه ويغمد سيف حيلتك

عن مقتلك والسلام[2]

---

(١) حافز غيظ دافعه

(٢) كمال الدين ابن العديم اسقيلى فى تذكرته

آراء في التعليم لابن خلدون (١)

١ـ كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل

---

(١) ٧٣٢ — ٨٠٨ ولد هذا العالم الكبير في تونس ونشأ في حجر النعيم والعلم وشارك في جميع العلوم وأتقنها وتعمق فيها وتبحر في التاريخ وتقلد الكتابة والحجابة والقضاء ووفد سنة ٧٦٤ هـ على الأندلس فاحتفى به الملوك والأمراء وانفرد بصاحب غرناطة دون وزيره فدبت اليه عقارب الحسد والحقد فعاد الى وطنه ثم أخذ يجول ويطوف في الآفاق حتى بلغ مصر سنة ٧٨٤ هـ وشغل بالتدريس في الجامع الأزهر وولي القضاء ثم انصرف عنها واعتزل ثم اشتغل واعتزل الى أن وافاه أجله

وقع الاتفاق على أن ابن خلدون إمام فلسفة التاريخ وأبو عذرتها ؛ ومقدمته للتاريخ لم يسمع مثلها ، ازدانت بها مكاتب العالم ولا تزال الكتاب غضا طريا جديدا في مباحث كثيرة صادقا في آراء ونظريات كثيرة

وابن خلدون إمام طريقة في الكتابة لا تزال مثال الاجيال فكتابة العلمية الرزينة أسلوبه طبيعي عام محكم وهو مع ذلك رشيق متسق ، وله في تجديد الكتابة ونقلها الى طور حديث فضل كبير

ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلا وما كتب عليها من
الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات
والبيان والتحصيل على العتبية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه
يحتاج الى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق
المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها
متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر
ينقضي في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط
لكان الامر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا ومأخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع
لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويمثل ايضا
علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين
والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن
الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره
دونه ولا يطمع احد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل الينا بالمغرب
لهذا العهد من تآليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بابن
هشام ظهر من كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة
لم تحصل الا لسيبويه وابن جني واهل طبقتهما لعظم ملكته وما احاط به من اصول
ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على ان الفضل ليس منحصرا
في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق و
التآليف ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والا فالظاهر

أن المتعلم لو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء –

٢– كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم

ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسراً على الفهم وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة للتفسير والبيان فاختصروها تقريباً للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة وإذا اقتصر عن التكرار

ثم يبعث المَلَكَة لقلته فتأتي هذه الموضوعات المختصرة فتقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل المَلَكات النافعة و تمكنها ومن يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى اعلم.

٣ - وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدًا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا و قليلا قليلا يلقى عليه اولا مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده بقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر هذا الفن و عند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح و البيان ويخرج عن الاجماع ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصًا ولا مهما ولا منغلقا الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته، هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت انما يحصل في ثلث تكررات وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه، وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركنا ، يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار

ذهنه فى حلها ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه وعى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مباديها وقبل ان يستعد لفهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً ويكون المتعلم اول الامر عاجزاً عن الفهم بالجملة الا فى الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكة فى الاستعداد ثم فى التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن و اذا القيت عليه الغايات فى البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب من صعوبة العلم فى نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى فى هجرانه وانما اتى ذلك من سوء التعليم

ولا ينبغى للمعلم ان يزيد متعلمه على فهم كتاب به الذى اكب على التعلم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان او منتهياً ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من اوله الى آخره ويحصل اغراضه ويستولى منه على ملكة بها ينفذ فى غيره لان المتعلم اذا حصل ملكة ما فى علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقى وحصل له نشاط فى طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولى على غايات العلم واذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدى من يشاء

وكذلك ينبغى لك ان لا تطول على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض

فيعسر حصول الملكة بتفريقها وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة
مجانبة للنسيان كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة لأن الملكات
إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه
والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون

ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ألا يخلط على المتعلم
علمان معاً فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن
كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معاً ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة وإذا تفرغ
الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصراً عليه فربما كان ذلك أجدر بتحصيله والله سبحانه
وتعالى الموفق للصواب.

٤ - الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من
سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به
القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل
على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر
عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معاني
الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله
وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل
فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين
وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك

امره عليه ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به وتجد ذلك فيهم استقريه وانظره في اليهود وما حصل ذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم يوصفون في كل افق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح الشهور التخابث والكيد وسببه ما قلناه فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التأديب ، وقد قال ابو محمد بن ابي زيد في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئا ، ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله ، حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلما بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحته ، ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال يا احمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك امير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك الا في اوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة اهـ

٥ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم

والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلون :

من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقاءًا وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكامًا واقوى رسوخًا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات ايضا فى تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء اهل العلوم وتعدد المشائخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ والاستحكام فى الملكات وتصحيح معارفه وتمييزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشائخ ومباشرة الرجال والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (١)

---

(١) مقدمة ابن خلدون

المدنية العجمية عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

(للشيخ ولي الله الدهلوي)(١)

اعلم ان العجم والروم لما توارثوا الخلافة قرونا كثيرة وخاضوا في لذة الدنيا ونسوا الدار الآخرة واستحوذ عليهم الشيطان تعمقوا في مرافق المعيشة وتباهوا بها وورد عليهم حكماء الآفاق يستنبطون لهم دقائق المعاش ومرافقه فما زالوا يعملون بها ويزيد بعضهم على بعض ويتباهون بها حتى قيل انهم كانوا يعيّرون من كان يلبس من صناديدهم منطقة او تاجا قيمتها دون مائة الف درهم اولا يكون له قصر شامخ وآبزن وحمام وبساتين ولا يكون له دواب فارهة وغلمان حسان ولا يكون له توسع في المطاعم وتجمل في الملابس وذكر ذلك يطول،

---

(١) ١١١٤ — ١١٧٦ هـ هو حكيم الاسلام وفيلسوف الهند والديني والعلمي الكبير قطب الدين احمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي قرأ العلم على والده وقرأ فاتحة الفراغ وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره واخذ يدرس ويفيد ويؤلف الى ان رحل في سنة ١١٤٣ الى الحجاز واستفاد من علمائها وافادوا سند الحديث عن الشيخ ابي طاهر المدني ثم رجع الى الهند وعكف على الدرس والافادة والتأليف والتجديد في العلم والدين الى ان استاثرت به رحمة الله.

كان رحمه الله آية من آيات الله عبقريا نابغة من نوابغ الاسلام قال العلامة السيد صديق حسن خان القنوجي اميرهو بالعلو سبق بر الزمان وكان في القرون المقدمة لعد من كبار الائمة المجتهدين في الاسلام (اتحاف النبلاء).

كان محدثا مفسرا فقيها اصوليا متكلما فيلسوفا سياسيا كان كاتبا قديرا بالعربية سيال القلم مؤلفا مجيدا واكثر كتبه لم ينسج على منوالها خصوصا الفوز الكبير في اصول التفسير وازالة الخفا في خلافة الخلفاء ورسالة الانصاف في سبب الاختلاف اما كتابه الشهير حجة الله البالغة فلم يصنف في الاسلام كتاب مثله، بل لعله لم يؤلف لنصرة دين، وبيان حقائقه وتطبيق العقل والنقل وشرح النظام الديني والسياسي كتاب يوازيه، وهذا الفصل مأخوذ منها.

وما تراه من ملوك بلادك يغنيك عن حكاياتهم، فدخل كل ذلك فى اصول معاشهم وصار لا يخرج من قلوبهم الا ان تمزّع[١] وتولد من ذلك داء عضال دخل فى جميع اعضاء المدينة وآفة عظيمة لم يبق منهم احد من اسواقهم ورساتيقهم وغنيهم وفقيرهم الا قد استولت عليه واخذت بتلابيبه[٢] واعجزته فى نفسه واهاجت عليه غموماً وهموماً لا ارجاء لها وذلك ان تلك الاشياء لم تكن تحصل الا ببذل اموال خطيرة ولا تحصل تلك الاموال الا بتضعيف الضرائب على الفلاحين والتجار واشباههم والتضييق عليهم فان امتنعوا قاتلوهم وعذبوهم وان اطاعوا جعلوهم بمنزلة الحمير والبقر تستعمل فى النضح والدياس[٣] والحصاد، ولا تقتنى الا ليستعان بها فى الحاجات ثم لا تترك ساعة من العناء حتى صاروا لا يرفعون رؤوسهم الى السعادة الاخروية اصلا ولا يستطيعون ذلك، وربما كان اقليم واسع ليس فيهم احد يهتم بدينه، ولم يكن يحصل ايضا الا بقوم يكسبون بتهيئة تلك المطاعم والملابس والابنية وغيرها ويتركون اصول المكاسب التى عليها بناء نظام العالم وصار عامة من يطوف عليهم يتكلفون محاكاة الصناديد فى هذه الاشياء والا لم يجد عندهم حظوة ولا كان له عندهم على بال، وصار جمهور الناس عيالا على الخليفة يتكففون منه تارة على انهم من الغزاة والمدبرين للمدينة يترسمون برسومهم، ولا يكون المقصود دفع الحاجة ولكن القيام بسيرة سلفهم، وتارةً على انهم شعراء جرت عادة الملوك بصلتهم، وتارة على انهم زهاد وفقراء يقبح من الخليفة أن لا يتفقد حالهم فيضيق بعضهم بعضا وتتوقف مكاسبهم

---

(١) تقطع (٢) جوبه (٣) داس الزرع دوسه

على صحبة الملوك والرفق بهم وحسن المحاورة معهم والتملق منهم وكان ذلك هو الفن الذى تتعمق افكارهم فيه وتضيع اوقاتهم معه

فلما كثرت هذه الاشغال نشأت فى نفوس الناس هيآت خسيسة واعرضوا عن الاخلاق الصالحة، وان شئت ان تعرف حقيقة هذا المرض فانظر الى قوم ليست فيهم الخلافة ولا هم متعمقون فى لذائذ الاطعمة والالبسة تجد كل واحد منهم بيده امره وليس عليه من الضرائب الثقيلة ما يثقل ظهره فهم يستطيعون التفرغ لامر الدين والملة، ثم تصور حالهم لو كان فيهم الخلافة وملأها وسخروا الرعية وتسلطوا عليهم

فلما عظمت هذه المصيبة واشتد هذا المرض سخط عليهم الله والملائكة المقربون وكان رضاه تعالى فى معالجة هذا المرض بقطع مادته فبعث نبيا اميا صلى الله عليه وسلم لم يخالط العجم والروم ولم يترسم برسومهم وجعله ميزانا يعرف به الهدى الصالح المرضى عند الله من غير المرضى، وانطقه بذم عادات الاعاجم وقبح الاستغراق فى الحياة الدنيا والاطمئنان بها، ونفث فى قلبه ان يحرم عليهم رؤس ما اعتاده الاعاجم وتباهوا بها كلبس الحرير والقسى(1) والارجوان(2) واستعمال اوانى الذهب والفضة وحلى الذهب غير المقطع، والثياب المصنوعة فيها الصور وتزويق(3) البيوت وغير ذلك وقضى بزوال دولتهم بدولته ورياستهم برياسته وبانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر ولا قيصر بعده(4)

---

(1) (2) ثياب حمر (3) تزويق البيت نقشه

(4) حجة الله البالغة باب اقامة الارتفاقات واصلاح الرسوم

الوحدة والسيادة

من مقالة للشيخ محمد عبده[1] في مجلة "العروة الوثقى"

واما السعي لاعلاء كلمة الحق وبسطة الملك وعموم السيادة فلا تجد آية من آيات القرآن الشريف الا وهي داعية اليه، جاهرة بمطالبة المسلمين بالجد فيه، حاظرة عليهم ان يتوانوا في اداء المفروض منه، ومن الاوامر الشرعية ان لا يدع المسلمون تنمية ملتهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وفي السنة المحمدية والسيرة النبوية، مما يضاف الى آيات القرآن ما جمعه العلماء في مجلدات يطول عدها، هذا حكم ديننا لا يرتاب فيه احد من المؤمنين به والمستمسكين بعروته،

هل يمكن لنا ونحن على ما نرى من الاختلاف والركون الى الضيم ان ندعي القيام بفروض ديننا، كيف ومعظم الاحكام الدينية موقوف اجراؤه على قوة الولاية الشرعية، فان لم يكن الوفاق والميل الى الغلب فرضين لذاتهما افلا يكونان مما لا يتم الواجب الا به، فكيف بهما وهما ركنان قامت عليهما الشريعة كما قدمنا،

---

(1) ١٢٦٦هـ - ١٣٢٣هـ ولد بمصر ونشأ بها وتعمق في العلوم حتى صار اماما في العلوم النقلية والعقلية واللسانية واستقى الدين من مشارعه الصافية وتعرف بحكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني فتأثر بدعوته وتشبع بروحه واندمج في ذاته و نشر معه جريدة العروة الوثقى اصدراها من باريس ونشرا بها دعوة الدين والعلم والاصلاح والحرية ثم عاد الى وطنه وتولى منصب الافتاء وعُني بتفسير القرآن بالازهر حتى قبضه الله الى ثوابه.

الشيخ محمد رائد العصر الجديد وطليعة الكتاب المجددين والعلماء المفكرين ومدرسة العربية والدين العامرة وامام في العربية متضلع من اساليب العرب متصرف في انواع الكلام ترى الامام على سعة في كتاباته وما ترجمه من شرح نهج البلاغة ودلائل

له مصنفات عديدة واجلها وابقاها كتاب ناطق حي اسمه العلامة السيد رشيد رضا المرحوم تلميذه ومستودع سره

هل لنا عذر نقدمه عند الله يوم العرض والحساب يوم لا ينفع خلة ولا شفاعة بعد هدم هذين الركنين، واين شفاعة الينا اقامتها وعديد نا شتا ملوين او يزيد، هل يتيسر لنا اذا خلونا بانفسنا وجادلتنا ضمائرنا ان نقنعها ونرضيها بما نحن عليه الآن ؟

كل هذه الرزايا التى حطت باقطارنا، ووضعت من اقدارنا، ما كان قاذفنا ببلائها، ورامينا بسهامها، الا افتراقنا، وتدابرنا والتقاطع الذى نهانا الله ونبيه عنه، لو ادينا حقوقًا تطالبنا بها تلك الكلمة التى تهل بها السنتنا، وتطمئن قلوبنا بذكرها، وهى كلمة الله العليا، هل كان يمكن للاغراب ان يمزقوا ممالكنا كل ممزق، وهل كان يلمع سيف العدوان فى وجوهنا، وهل كنا نشيم نيران الاعداء الا واقدامنا فى صياصيهم، وايدينا على نواصيهم، ان لابناء الملة الاسلامية يقينا بما جاء به شرعهم لكن اين على صاحب اليقين بدين ان يقوم بما فرض الله عليه فى ذلك الدين ؟

"الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝"

ولا ريبة فى أن المؤمن يسره ان يعلمه الله صادقا لا كاذبا، واى صدق تظهره الفتنة ويمتاز به الصادق من الكاذب الا الصدق فى العمل هل يود المسلم لو يعمر الف سنة فى الذل والهوان وهو يعلم ان الاعداء

بالحياة هو دليل الايمان ، اترضى نحن المؤمنون وقد كانت لنا الكلمة العليا ان تضرب علينا الذلة والمسكنة، وان يستبد فى ديارنا واموالنا من لا يذهب مذهبنا، ولا يرد مشربنا ، ولا يحترم شريعتنا، ولا يرقب فينا الاّ(١) ولا ذمة، بل اكبر همه ان يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلى منا اوطاننا وليتخلف فيها اوعدنا ابناء جلدته ، وجاليةً(٢) من امته"

لا . لا ، ان المخلصين فى ايمانهم الواثقين بوعد الله فى نصر من ينصر الله الثابت فى قوله :-

(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)

لا يتخلفون عن بذل اموالهم وبيع ارواحهم، والحق داع والله حاكم والضرورة قاضية فأين المفر : المبصرون والله يعلمون انه لا سبيل لنصر الله وتعزيز دينه الا بالوفاق وتعاون المخلصين من المؤمنين ، هل يسوغ لنا ان نرى اعلامنا منكسة ، وأملاكنا ممزقة . والقرعة تضرب بين الغرباء على ما بقى فى ايدينا ثم لا نبدى حركة، ولا نجتمع على كلمة ، وندعى مع هذا اننا مؤمنون بالله و بما جاء به محمدٌ . والجلتاه لو خطر هذا ببالنا ولا اظنه يخطر ببال مسلم يجرى على لسانه شاهد الاسلام

ان الميل الوحدة والتطلع للسيادة وصدق الرغبة فى حفظ حوزة الاسلام

---

(١) الالّ العهد

(٢) الجالية الغرباء هاجروا اوطانهم

كل هذه صفات كامنة في نفوس المسلمين قاطبة ولكن دهاهم بعض ما اشرنا
اليه في اعداد ماضية فالهاهم عما يوحي به الدين في قلوبهم واذهلهم اشد ما اذا
عن سماع صوت الحق ينادبهم من بين جوانحهم. فلهوا وما غووا، وزلوا و
ما ضلوا ولكنهم دهشوا وتاهوا، فمثلهم مثل جواب المجاهيل من الارض
في الليالي المظلمة، كل يطلب عونا وهو معه ولكن لا يهتدي اليه، وارى ان العلماء
العاملين لو وجهوا فكرهم لايصال اصوات بعض المسلمين الى مسامع بعض لامكنهم
ان يجمعوا بين اهوائهم في اقرب وقت وليس بعسير عليهم ذلك بعد ما اختص
الله من بقاع الارض بيته الحرام بالاحترام وفرض على كل مسلم ان يحجه
ما استطاع، وفي تلك البقعة يحشر الله من جميع رجال المسلمين وعشائرهم
واجناسهم فما هي الا حكمة تعالى بينهم من ذي منزلة في نفوسهم تهتز لها
ارجاء الارض، وتضطرب لها سواكن القلوب، هذا ما اعتقده من له العقائد الدينية
وان اضفت اليه ما اذاب قلوبهم من تعديات الاجانب عليهم، وما تداوت به
صدورهم من غارات الاغراب على بلادهم حتى بلغت ارواحهم التراقي،
ذهبت الى ان الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حدا يوشك ان يكون فعلا
وهو مما يؤيد الساعين في هذا المقصد، ويهيئ لهم فوزا ونجاحا بعون الله
الذي ما خاب قاصده، وهو ربي اليه ادعو واليه أنيب

المدنية الغربية للسيد مصطفى لطفي المنفلوطي[1]

سأودّع في هذه النظرة الخيال والشعر وداع من يعلم ان الامر اعظم شأنا وأجل خطرا من ان يعبث فيه العابث بامثال هذه الطرائف التي هي بالهزل اشبه منها بالجِدّ ، والتي انما يلهو بها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه لا في مواطن جده وعمله

ان في ايدينا معشر الكتاب من نفوس هذه الامة وديعة يجب علينا تعهدها والاحتفاظ بها والحدب[2] عليها حتى نؤديها الى الخلائف من بعدنا كما أداها الينا اسلافنا سالمة غير مروضة[3] ولا متآكلة[4]، فان فعلنا ذلك اولا ، فرحمة الله على الصدق والوفاء وسلام على الكتّاب الامناء

الامة المصرية امة مسلمة شرقية فيجب ان يبقى لها دينها وشرقيتها ما جرى نيلها في ارضها ، وذهبت اهرامها في سمائها ، حتى تبدل الارض غير الارض والسموٰت

ان خطوة واحدة يخطوها المصري الى الغرب تدني اليه اجله وتدنيه من هوى عميق[5] يقبر فيه قبر الاحياء من بعده الى يوم يبعثون

لا يستطيع المصري وهو ذلك الضعيف المستسلم ان يكون من المدنية الغربية

---

(١) ولد السيد مصطفى لطفي في قرية منفلوط بمصر ونشأ بها وتلقى العلم في الازهر واستفاد من ادب الشيخ محمد عبده ومعارفه واتصل برجل مصر سعد باشا زغلول وكتب في " المؤيد " واستلفت الانظار الى نظره وتوفي سنة ٢٤ هـ

المنفلوطي كاتب نابغ من ابرع كتاب العربية على اختلاف القرون والعصور ولا اظن ان العربية انجبت كاتبا ارشق عبارة واشرق ديباجة في هذه القرون الاخيرة من السيد مصطفى المنفلوطي

(٢) الحدب على الشيء التعطف عليه والعناية به (٣) ارضت الخشبة اكلتها الارضة (٤) منخورة (٥) بعيد

ان دانا هم الا كل الا غربال من دقيق الخبز، يمسك خشارة[1] ويفلت لبابه، او الراووق[2] من الخمر يحتفظ بعقاره[3] ويستهين برحيقه، فخير له ان يتجنبها جهده، وان يفر منها فرار السليم من الاجرب

يريد المصري ان يقلد الغربي في نشاطه وخفته، فلا ينشط الا في غدواته وروحاته، وقعدته وقومته، فاذا جد الجد واراد نفسه على ان يعمل عملا من الاعمال المحتاجة الى قليل من الصبر والجلد دب الملال الى نفسه دبيب الصهباء في الاعضاء، والكرى بين اهداب الجفون

يريد ان يقلده في رفاهيته ونعمته فلا يفهم منهما الا انهما الاولى التأنث في الحركات والثانية الاختلاف الى مواطن الفسق ومخابئ الفجور

يريد ان يقلده في الوطنية فلا يأخذ منها الا نعيقها[4] ونعيبها[5]، وضجيجها وصفيرها فاذا قيل له هذه المقدمات فان النتائج، اسلم رجليه الى الرياح الاربع واستن[6] في فراره استنان المهر الارن[7] فاذا سمع صفير الصافرات وجلا، واذا رأى غير شيء ظنه رجلا

يريد ان يقلده في السياحة، فلا يزال يترقب فصل الصيف ترقب الارض الميتة فصل الربيع، حتى اذا حان حينه طار الى مدن اوربا طيران حمام الزاجل[8] لا يبصر شيئا مما حوله، ولا يلوي على شيء مما وراءه حتى يقع على مجامع اللهو و مكامن الفجور وملاعب القمار، وهنا يبذل من عقله وماله ما يعود من بعده فقير الرأس والجيب، لا يملك من الاول ما يقوده الى طريق السفينة التي تحمله في اوبته، و لا

---

(١) الخشارة الردىء من كل شيء، ما لا لب له من الشعير (٢) المصفاة او الكرباس (٣) عكر الخمر
(٤)(٥) صوت الغراب (٦) استن الفرس في جريه اقبل وادبر (٧) الارن النشيط
(٨) حمام الرسائل -

من اشانى اكثر من الجعالة(١) التى يجتعلها منه صاحب الجريدة ليكتب له بين حوادث صحيفته حادثة عودته، موشاة بجميل الاجلال والاحترام، مطرزة بوشائح الاكرام والاعظام

يريد ان يقلده فى التصوف فلا يعرف منه الا كلمات يرددها بين شدقيه ترديداً لايلجأ فيه الى ركن من العلم وثيق، ولا يعتصم به من جهل شائن،

يريد ان يقلده فى الاحسان والبر فيترك جيرانه وجاراته يطوون حنايا(٢) الضلوع على امعاء تذهب فيها نار الجوع التهاباً، حتى اذا سمع دعوة الى الاكتتاب فى فاجعة نزلت فى القطب الشمالى او نازلة(٣) المت بسد يأجوج ومأجوج سجل اسمه فى فاتحة الكتاب، ورصد هبته فى مستهل جريدة الحساب

يريد ان يقلده فى تعليم المرأة وتربيتها فيقنعه من علمها مقالة تكتبها فى جريدة او خطبة تخطبها فى محفل، ومن تربيتها التفنن فى الازياء، والمقدرة على استهواء النفوس، واستلاب الالباب

هذا شأنه فى الفضائل الغربية يأخذها صورة مشوهة وقضية معكوسة لايعرف لها مغزى، ولا ينتحى بها مقصداً، ولا يذهب فيها الى مذهب، فيكون مثله كمثل جهلة المتدينين الذين يقلدون السلف الصالح فى تطهير الثياب وتنقيتها من الاقذار والاكدار، ويجارونهم فى اداء صور العبادات وان كانوا لا ينتهون عن فحشاء ولا عن منكر، او كمثل الذين يتشبهون بهم فى ترقيع الثياب، وان كانوا احرص على الدنيا من صيارفة اليهود

اما شأنه فى رذائلها فانه اقدر الناس على اخذها كما هى فينتحر(٤) كما ينتحر

---

(١) الاجرة (٢) اطرافها (٣) حادثة اليمة (٤) يقتل نفسه

الغربي ويلحد كما يلحد وليستهتر في الفسوق استهتاره[1]، ويترسم في التجديد آثاره

ان في المصريين عيوباً جمة في اخلاقهم وطباعهم، ومذاهبهم وعاداتهم فان كان لابد لنا من الدعوة الى اصلاحها: فلندع الى ذلك باسم المدنية الشرقية لا باسم المدنية الغربية

ان دعوناهم الى الحضارة فلنضرب لهم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة[2] وشيبة وفينيقيا، لا بباريس وروما وسويسرة ونيويورك، وان دعوناهم الى مكرمة، فلنتل عليهم آيات الكتب المنزلة واقوال انبياء الشرق[3] وحكمائه، لا آيات روسو وباكون ونيوتن وسبنسر، وان دعوناهم الى حروب، ففي تاريخ خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين، ما يغنينا عن تاريخ نابليون وولنجتون وواشنطون ونلسن وبلوخر، وفي وقائع القادسية وعمورية وافريقية والحروب الصليبية، ما يغنينا عن وقائع واترلو وترافلغار وأوسترليتز والسبعين

ان عاراً على التاريخ المصري ان يعرف المسلم الشرقي في مصر من تاريخ بونابرت

---

(١) استهتر فلان اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل

(٢) عفا الله عن السيد مصطفى، ان حضارة بغداد وقرطبة وشيبة وفينيقيا ليست مثلاً كاملاً للحضارة التي ندعو اليها ونشيد بذكرها وهي بالاختلاف كثيراً في روحها وفي كثير من مظاهر حياتها عن حضارة عواصم اوربا التي سماها وليس من العدل والعلم ان نفتخر بمدنية لانها شرقية او غربية ونفضل بعضها على بعض بغير ما يقتضي ذلك سوى حمية الجاهلية والفخر بالآباء، ان الحضارة الوحيدة التي نضرب بها مثلاً هي تلك الحضارة الكاملة التي قامت على اساس القرآن وظهرت في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وما كانت شرقية ولا غربية انما كانت انسانية عامة الهيئة في الوضع صنع الله الذي اتقن كل شيء ...... (الحسني)

(٣) الانبياء ليسوا كالقادة السياسية وزعماء الشعوب والاوطان من حظ الشرق والغرب انما هم رسل رب العالمين رب المشارق والمغارب

ما لا يعرف من تاريخ عمرو بن العاص، ويحفظ من تاريخ الجمهورية الفرنسية ، ما لا يحفظ من تاريخ الرسالة المحمدية، ومن مبادئ ديكارت وابحاث دروين ما لا يحفظ من حكم الغزالي وابحاث ابن رشد، ويروي من الشعر لشكسبير وهوجو ما لا يروي للمتنبي والمعري

لا مانع من ان يعرّب لنا المعرّبون المفيد النافع من مؤلفات علماء الغرب والجيد الممتع من ادب كتّابهم وشعرائهم على ان ننظر فيه نظر الباحث المنتقد لا الضعيف المستسلم، فلا نأخذ كل قضية علمية قضية مسلّمة ولا نطرب لكل معنى ادبي طربا متهوسا، ولا مانع من ان ينقل الينا الناقلون شيئا من عادات الغربيين ومصطلحاتهم في مدنيتهم على ان ننظر اليه نظر من يريد التبسط في العلم والتوسع في التجربة والاختبار، لا على ان نقلدها ونتحولها ونتخذها قاء ونتفانى استحسان ما نستحسن من شؤوننا. واستهجان ما نستهجن من عاداتنا

وبعد فيعلم كتّاب هذه الامة وقادتها انه ليس في عادات الغربيين واخلاقهم الشخصية الخاصة بهم ما نأخذه عليه كثيرا ، فلا يخدعوا أُمتهم عن نفسها، و لا يفسدوا عليها دينها وشرقيتها، ولا يزينوا لها تلك المدنية تزيينا يرزؤها(1) في استقلالها النفسي، بعد ما رزأتها السياسة في استقلالها الشخصي(2)

---

(1) ينقصها (2) النظرات للمنفلوطي

وحي الهجرة، للسيد مصطفى صادق الرافعي [١]

نشأ النبي (صلى الله عليه وسلم) في مكة، واُستنبئ على رأس الاربعين من سنه و غبر [٢] ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله قبل ان يهاجر إلى المدينة، فلم يكن في الاسلام اول بدأته إلا رجل وامرأة وغلام، اما الرجل فهو هو (صلى الله عليه وسلم) واما المرأة فزوجه خديجة، واما الغلام فعليٌّ ابن عمه ابي طالب،

ثم كان اول النمو في الاسلام بحُرٍّ وعبد ! امّا الحرّ فابو بكر، واما العبد فبلال ثم اتسق النمو قليلا قليلا لا ببطء الهموم في سيرها وصبر الحُرّ في تجلّده، وكانّ التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيّق لا يتسع، جامدٌ لا ينمو ! وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) اخو الشمس : يطلع كلاهما وحده كل يوم حتى اذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول الى المدينة، بدات الدنيا تتقلقل [٣] كانما تزويد مدّه على مركزها لحركها، وكانت خطواته في هجرته تخطّ في الارض ومعانيها تخطّ في التاريخ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة، ومعناها بين المشرق والمغرب

---

(١) السيد مصطفى صادق الرافعي اديب راسخ لا يزال ولا يتحرف، وصيرفي حاذق كان كلماته دنانير مصقولة، يلفظ الدر وينفث السحر واذا حكى حادثة قديمة او بنى على اساس رواية تاريخية اوجلة فكانما رد التاريخ على اعقابه واذا قلّد ابن المقفع او تشكر به فكانما ترى نسخة خطية لكتاب « كليلة ودمنة » وناهيك بما قال الامير شكيب ارسلان « ما معناه ان العربية لم تنجب مثله من عدة قرون

الا انه قد يغلو في التفلسف في الادب ويعقد، توفي قريبًا، له اعجاز القرآن ووحي القلم مجموع مقالات له ورسائل ادبية

(٢) غبر مكث (٣) تقلقل الشئ تحرك

لقد كان فى مكة يعرض الاسلام على العرب كما يعرض الذهب على المتوحشين يرونه بريقًا وشعاعًا ثم لا قيمة له، وما بهم حاجة اليه، وهو حاجة بنى آدم الا المتوحشين وكانوا فى المحادّة[1] والمخالفة الحمقاء، والبلوغ بدعوته مبلغ الاوهام والاساطير، كما يكون المريض بذات صدره مع الذى يدعوه فى ليلة قارّة الى مدفأة وجمرة باشعة الكواكب، وكانت مكة هذه صخرًا جخرًا فيه يحطم ولا يلين وكان الشيطان نفسه وضع هذا الصخر فى مجرى الزمن ليصد به التاريخ الاسلامى عن الدنيا واهلها.

وأوذى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكذّب واهين ورجمت به الوادى يخطو فيه على زلازل تتقلب، ونابذه قومه وتذامروا[2] فيه، وحضّ بعضهم بعضًا عليه وانصفق[3] عنه عامة الناس وتركوه الامن حفظ الله منهم، واصيب كبيرًا باليتم من قومه، كما اصيب صغيرًا باليتم من ابويه.

وكان لا يسمع بقادم يقدم من العرب له اسمٌ وشرفٌ، الا تصدّى له فدعاه الى الله وعرض نفسه عليه، ومع ذلك بقيت الدعوة تلوح وتختفى كما يشقّ البرق من سحابةٍ على السماء: ليس الا أن يُرى ثم لا شئ بعد ان يُرى!

فهذا تاريخ ما قبل الهجرة فى جملة معناه، غير انى لم اقرأه تاريخًا. بل قرأتُ

---

[1] حادّه عاداه وغاضبه [2] تذامر القوم تحاضّوا على القتال.

[3] انصفق انصرف وارتدّ

فيه فصلاً رائعاً من حكمة الهية، وضعه الله كالمقدمة لتاريخ الاسلام في الارض مقدمةٌ من الحوادث والايام تحيا وتمرّ في نسق الرواية الالهية المنطوية على رموزها واسرارها، وتظهر فيها رحمة الله تعمل بقسوة، وحكمة الله تتجلى في غموض، فلو انت حققت النظر لرأيت تاريخ الاسلام يتألّه في هذه الحقبة، بحيث لا تقرؤه النفس المؤمنة الخاشعة كأنها تصلّي ولا تتدبّره الخاضعة كأنها تتعبّد

بدأ الاسلام في رجلٍ وامرأةٍ وغلامٍ ثم زاد حرًّا وعبدًا، أليست هذه الخمس هي كل أطوار البشرية في وجودها، مخلوقة في الانسانية والطبيعة ومصنوعةً في السياسة و الاجتماع؟ فها هنا مطلع القصيدة، واول الرمز في شعر التاريخ:

ولبث النبي (صلى الله عليه وسلم) ثلاث عشرة سنة لا يبغيه قومه إلا شرًّا على انه دائب يطلب ثم لا يجد، ويعرض ثم لا يقبل منه، ويخفق[1] ثم لا يعتريه اليأس بجهد ثم لا يتخونه الملل، وليستمر ماضياً لا ينحرف، ومعتزماً لا يتحوّل، أليست هذه هي اسمى معاني التربية الانسانية أظهرها الله كلها في نبيّه، فعمل بها وثبت عليها، وكانت ثلاث عشرة سنةً في هذا المعنى كعمر طفل ولد ونشأ واحكم تهذيبه بالحوادث حتى تسلمته الرجولة الكاملة بمعانيها من الطفولة الكامنة بوسائلها؟

افليس هذا فصلاً فلسفياً دقيقاً يعلّم المسلمين كيف يجب ان ينشأ المسلم غناه في قلبه، وقوّته في ايمانه، وموضعه في الحيوة موضع النافع قبل المنتفع والمصلح قبل المقلّد، وفي نفسه من قوة الحياة ما يموت به في هذه النفس اكثر

---

(١) خفق الرجل طلب حاجة فلم يدركها (٢) يتخوّنه يأتيه في وقت دون وقت

ما فى الارض والناس من شهوات ومطامع ؟

ثم اليست تلك العوامل الاخلاقية هى هى التى القيت فى منبع التاريخ الاسلامى ليدب منها تياره، فتدفعه فى مجراه بين الامم، وتجعل من اخص الخصائص الاسلامية فى هذه الدنيا — الثبات على الخطوة المتقدمة وان لم تتقدم، وعلى الحق وان لم يتحقق، والتبرؤ من الاثرة وان شحت عليها النفس، واحتقار الضعف وان حكم وتسلط، ومقاومة الباطل وان ساد وغلب، وحسن الناس على محض الخير وان ردوا بالشر، والحسنى للعمل وان لم يأت بشئ، والواجب الواجب وان لم يكن فيه كبير فائدة، وبقاء الرجل رجلا وان حطمه كل ما حوله ؟

ثم هى هى البرهانات القائمة للدهر قيام المنارة فى الساحل — على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) تثبت ببرهان الفلسفة وعلوم النفس انه روح وغاياتها المحتومة بالقدر لاجسم وسائله المتغلبة بالطبيعة، ولو كان رجلا يبتغى لنفسه، لتحول الحيل لسياسته ولاحدث طمعا من كل مطمع ولركد مع الحوادث وهب، ولما استمر طوال هذه المدة لا يتجه وهو فرد الا اتجاه الانسانية كلها كانما هو هى،

ولو كان رجل الملك او رجل السياسة، لاستقام والتوى، ولادرك ما يبتغى فى سنوات قليلة ولاوجد الحوادث يتعلق عليها، ولما افلت ما كان موجودا منه يتعلق به، ولما انتزع نفسه من عاداته فى قومه وكان واسطة فيهم، ولا ترك عوامل

---

(١) عب البحر كثر موجه وارتفع، والتيار موج البحر الهائج،

الزمن تَبْعده وهي كانت تدنيه

قالوا : ان عمه اباطالب بعث اليه حين كلمته قريش فقال له : يا ابن اخي، ان قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك، ولاتحملني من الامر مالااطيق، فظن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قد بدا لعمه فيه بداء[1] وانه خاذله ومسلمه، وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال : ياعماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر (صلى الله عليه وسلم) فبكى

يادموع النبوة ! لقد اثبت ان النفس العظيمة لن تتعزى عن شئ منها بشئ من غيرها كائنا ماكان لامن ذهب الارض وفضتها، ولامن ذهب السماء وفضتها اذا وضعت الشمس في يد والقمر في الاخرى -

وكل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست الا دليل ذلك الزمن على انه زمن نبي، لا زمن ملك اوسياسي او زعيم، ودليل الحقيقة على ان هذا اليقين الثابت ليس يقين الانسان الالهي من جهة قوته بل يقين الانسان الالهي من جهة قلبه ودليل الحكمة على ان هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التي تنشرها عدوى النفس للنفس، فهاهو ذا لا يبلغ اهله في ثلاث عشرة سنة اكثر مما تبلغ اسرة متوالدة في هذه الحقبة ودليل الانسانية على انه وحي الله بايجاد الاخاء العالمي والوحدة الانسانية، اذ لم يكن خروجه عن موطنه هو تحققه في العالم ؟

ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت ان النبي (صلى الله عليه وسلم) ليس رجل مال، ولا سياسة، ولا زعامة، ولو كان واحدا من هؤلاء لادرك في قليل، ولم

---

[1] اى نشأ له رأى جديد فيه وعند اكثا يقولون رجع عن رأيه

مبتدع شريعة من نفسه والا لما غبر في قومه وكان لم يجدهم وهم حوله ؟ وليس صاحب ذكرة تعمل أساليب الدس في انتشارها، ولو كانت لحملهم على عضوها وممزوجها، وليس رجلا متعلقا بالمصادفات الاجتماعية، ولو هو كان لجمل ايمان يوم ركفر يوم، وليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة ومخادعة. ولا رجل وطنه تكون غايته ان يشمخ في ارضه شموخ جبل فيها دون ان يحاول ما يبلغ اليه من اطلاله على الدنيا اطلال السماء على الارض، ولا رجل حاضره اذا كان واثقا دائما ان معه الغد وآتيه، وان ادبر عنه اليوم وذاهبه، ولا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه، ولا رجل شخصيته يستهوي بها ويسحر، ولا رجل بطشه يغلب به ويتسلط، ولا رجل الارض في الارض ولكن رجل السماء في الارض.

هذه هي حكمة الله في تدبيره لنبيه حتى الهجرة ؛ قبض عنه اطراف الزمن، وحصره من ثلاث عشرة سنة في سنة واحدة، لا تصدر به الامور مصادرها كي تثبت انها لا تصدر به، ولا تتحقق به الحقيقة على انها ليست من قوته وعمله.

وكان (صلى الله عليه وسلم) على ذلك - وهو في حدود نفسه وضيق مكانه يتسع في الزمن من حيث لا يرى ذلك احدٌ ولا يعلمه، وكانما كانت شمس اليوم الذي سينتصر فيه - قبل ان تشرق على الدنيا بثلاث عشرة سنة - مشرقة في قلبه (صلى الله عليه وسلم)

والفصل من السنة لا يفقد معه الناس ولا يؤخرونه ؛ لانه من سير الكون كله

والسحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح ومع النبي من مثل ذلك برهان الله على

رسالته الى ان نزل قوله تعالى

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)

فحل الفصل ؛ وانطلقت الصاعقة ، وكانت الهجرة

تلك هي المقدمة الالهية للتاريخ ، وكان طبيعيا ان يطرد التاريخ

بعدها حتى قال الرشيد للسحابة وقد مرت به امطري حيث شئت فسيأتيني

خراجك (١)

---

(١) وحي القلم الرافعي جلد ٢

تحية الاندلس للاستاذ محمد كرد على[1]

عشقتها ولم تسعدنى الايام بامتاع النظر فى جمالها، واستطلعت[2] طلع اخبارها وروى الرواة عنها عجائب اقلها أمداً يستهوى النفوس المتمردة ويأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية، تفردت بين بنات جيلها بما اختصت به من معانى الحسن الاحسان وكثر الخطاب والطلاب، وهى لا تفتأ تبدى لمن امحها هواه اصنوفاً من اللطف والظرف وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم، وترشقهم بنظرات، لا تخلو من غمزات تدريهم الهزء بنكبات الزمان، والاستخفاف بحزازة الانسان

عشقتها منذ عهد الصبا، وعشق الصبا شديد، لما قرأته الباصرة من وصف سجاياها وحملته الى البصيرة ففكرت فيه، وقد برت خواقيه وحوا شيه[3] وزادنى غرامها ما أسمعت من ان اناساً قبلى أصيبوا بما أصبت به، وعدوا النزول فى حماها ولو ساعة سعادة العمر، وحسنة الدهر: العشق فنون وعشقى كان لارض الاندلس عليها من كل عربى التحية الى الامة سلام على مر العصور والايام

عشقتها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا على أديمها[4] من ابنائها

---

(١) رئيس المجمع العلمى بدمشق سابقا والمؤلف والاديب والمؤرخ الشهير والكاتب المجيد جمع بين جزالة القديم ورشاقة الجديد له حاضر الاندلس وغابرها وغرائب الغرب وغير ذلك من المؤلفات الممتعة النافعة (٢) استطلع رأى فلان واستطلع امره اى نظر ما عنده من رأى والطلع بكسر الطاء الاسم من طلع (٣) مشوا (٤) سطح الارض وظهرها (٥) القريحة ملكة يقتدر بها الانسان على الاجادة فى نظم الشعر والكتابة .

وغيرابنائها، وكانت الخيلة تصورها فى مظاهر صح بعضها يوم اللقاء، وآخر كان بالطبع كالخيال، فى الاندلس تمخو نصف مدنية العرب الباهرة، وقضوا فى ارجائها نحو ثمانية قرون كانت بجملتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة، و دور ظهور النوابغ وارباب الابداع والقرائح[1] وكم من امة من امم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست واوجدت، لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا ان تبلغ مكانة الاندلس، فكان هذا الصقع فى منقطع ارض المغرب، وآخر ارض العرب، بين البحرين المحيط والمتوسط برهانا ازليا على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعيا[2] على من انكروا الافراطهم فى الشعوبية[3] فضل هذه الامة على الحضارة،

– اقام العربيون ضروبا من المصانع من بيع[4] واديار ومتاحف ومكاتب و مدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وتماثيل ونصب وبرك، لكنهم لم يصنعوا على كثرة تفننهم فى هذا الشان، منذ عهد اليونان والرومان، طرزا من البناء يكملك ولا لسان له يقول، وينظر اليك فيعمل فى شغاف قلبك ولا عين له فتنظر، ويطربك بتساوق نغماته من دون ما صناجة[5] ولا وتر ولا الحان، مصانع كثيرة بقيت بقاياها فى طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة سلبتها الفتن والجهل تارة شطرا من بهائها، وسالمتها احيانا وابقت عليها، او رممت شيئا مما اضرت به عوامل الايام وان لم تعد اليها نضرتها الاولى،

القريحة ملكة يقتدر بها الانسان على الاجادة فى نظم الشعر والكتابة (٢) ر اذا ذامًّا.

(٣) العصبية للجنسية والقومية، وغالبا يستعملون هذه الكلمة لتصغير شان العرب وعدم تفضيلهم على العجم.

(٤) البيعة المعبد للنصارى واليهود (٥) آلة غناء

سلام على ارض طيبة خصها الخالق باجمل الهبات الطبيعية الطيبة، فلم يقصدها ذكاء تربة في نجادها ووهادها، ولا مياهها عذبة دافقة من هضابها على شواطئها، ولا اشجارا باسقة وزروعا خصبة في سهولها ووعورها ولا اعتدال مواسم وجمال اقليم، ومصحة[1] ابدان زانها الصانع السماوي بإيجاده كما زانها الصانع الارضي بابداعه وما اجمل الطبيعي والصناعي، اذا تواعدا الى الاجتماع في خير البقاع،

ليالي الانس، في جزيرة الاندلس، واياموها الغر، في سالف الدهر، فيك قامت سوق الأدب، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الاحقاب، وكمل في ربوعك الذوق العربي حتى ظن بعضهم انك نسيت كل شيء ما عدا الأدب، وما هذا الآثار الابدية الاثرة علماءك وصناعاتك وزراعاتك: سلام على ارواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وادبائك وامرائك مما كان ارجح احلامهم، يوم سنوا للعرب سنة الاخذ من السابقين، وشرعوا لهم شرعة المدنية المثلى، حملوا فاجملوا من الشرق الى الغرب تعاليم في الدين والدنيا كانت صفوة العقول الى عهدهم فادهشوا من عاصرهم، وخلدتهم من الاجيال، ونجوا لهم على غير مثال نسيجا رقيقا، كتبوا لهم فيه سجلا رقت حواشيه، ونظاما متقنا في حكم الانسان للانسان، يطبع في تاليه اذا تدبره، طبيعة حسن الذوق والطبع، وينشئه على ارق مثال من الخيال في الكمال والجمال، مثال حي من حضارة العرب في القارة الاوربية عامة، وفي شبه جزيرة اسبانيا خاصة، يفتخر به العرب على اختلاف اصقاعهم

---

(١) المصحة بفتح الصاد وكسرها ما يجلب الصحة او يحفظها وارض مصحة بريئة من الاوباء

وحق لهم الفخر، لان الاندلس العربية الاسلامية كانت ومازالت مدرسة الغرب المسيحي، نزل طلابه في قرونهم المظلمة على علماء العرب فاوسعوهم من مكارم اخلاقهم واكرموا مثواهم مما علموهم، ومما اسخى العربي على طالب قراه(١) والمعتصم به فلما جاء دور الانحطاط، وازف رحيل ذلك الرعيل(٢) من ارض كان الغرب كله يعدم فيها اتقل دخيل، ابقوا لهم تلك المصانع ناطقة بفضلهم معلنة لهم معاني ليست في معاجم نفائسهم، ومكذبة على غابر الايام من ينكر المحسوس، ويغمط الحق لصاحبه، ويستهويه الغرض، فيشوه وجه الحق الجميل،

الى اليوم لم يزل في الغربيين اناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية للعرب بباعث من بواعث النفوس اللئيمة، فلا يكادون يصدقون حتى بما ورد عن هذه الامة في كتبهم دع ما بقي(٣) من اعمال هذه الحضارة العربية، ومن ذلك الاثر الضئيل الباقي من عاديات الاندلس العربية، البرهان الجلي على ما كان هناك من تمدن شامل، وعقل كامل، ونظر نافذ، ويد صناع، اربت(٤) على ما عمل من مثلها في سائر البقاع والاصقاع(٥)

---

(١) نزله ضيافته (٢) اسم كل جماعة متقدمة من خيل او طير او رجال ج رعال

(٣) الاشياء القديمة الباقية (٤) فاقت زادت

(٥) حاضرة الاندلس وتاريخها للاستاذ كرد علي

سيدي احمد الشريف السنوسي (1) للامير شكيب ارسلان

عند ما قدمت الى الاستانة اواخر سنة ١٩٢٣، وهي اول مرة دخلتها بعد الحرب قررت لاجل الاستجمام (2) من عناء الاشغال وترويح النفس بعد طول النضال (3) ان اسكن ببلد صغير تتهيأ لي فيه العزلة وتسهل الرياضة، ويكون دانيا من وطني سورية لملاحظة شغلي الخاص، وتعهد املاكي فيها، فاخترت مرسين، والقيت مرساة غربتي فيها، وكان السيد السنوسي بلغه قدومي الى دار السعادة، فكتب لي يرغب الي في سرعة المجئ ويرحب بي، فلما جئت الى مرسين ذهبت توا (4) لزيارته وذا انا الان انزل عنده، ريثما اكون استاجرت منزلا في البلدة، وقد رأيت في هذا السيد السند، بالعيان، ما كنت اتخيله عنه بالسماع وحق لي والله ان انشد :-

كانت محادثة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت اذني باحسن مما قد رأى بصري

رأيت في السيد حبرا جليلا، وسيدا غطريفا (5) واستاذا كبيرا، من انبل من وقع نظري عليهم مدة حياتي، جلالة قدر، وسراوة (6) حال ورجاحة عقل وسجاحة (7) خلق

---

(1) امير البيان وكاتب الشرق الاكبر من مؤلفي هذا العصر الكبار ومن المكثرين مع الاجادة في الكتابة والرسوخ في العلم خدم بقلمه خدمة السيف وحرم عليه قلمه ان يطأ بعقد مراس من المسلمين
يمتاز الامير بين كتاب هذا العصر بالتمكن من اللسان وامثال العرب والاساليب القديمة
ومن اكبر حسناته واعماله الخالدة حواشيه على حاضر العالم الاسلامي وترجمة السيد السنوسي ملتقطة منها

(2) الاستراحة (3) الحرب والعمل واصله الرمي بالسهام وكان الامير مشغولا في حرب طرابلس

(4) يقال جاء توا اي قاصدا لا يعرجه شئ

(5) الغطريف السري والسيد الحسن (6) المروءة والسخاء (7) دماثة الخلق ولينه وسهولته

وحكم موهوبة وسرعة فهم، وسداد رأى، وقوة حافظة من الوقار الذى لاتنقص من جانبه الوداعة [١]، والورع الشديد فى غير رئاء ولا سمعة انه لا يرقد فى الليل أكثر من ثلاث ساعات، ويقضى سائر ليله فى العبادة والتلاوة والتهجد، ورأيته مرارا تنفح [٢] بين يديه السفر الفاخرة اللائقة بالملوك فيأكل الضيوف والحاشية ويجتزى [٣] هو بطعام واحد لا يصيب منه الا قليلا ؛ وهكذا هى عادته، وله مجلس كل يوم بين صلاتى الظهر والعصر لتناول الشاى الاخضر الذى يؤثره المغاربة، فيأمر بحضور من هناك من الاضياف ورجال المعية، ويتناول كل منهم ثلاثة اقداح شاى ممزوجا بالعنبر، فاما هو فيتحامى [٤] شرب الشاى لعدم ملائمته لصحته، وقد يتناول من النعناع، ومن عادته انه يوقد فى مجالسه غالبا الطيب، وينبسط السيد الى الحديث، واكثر احاديثه فى قصص رجال الله واحوالهم ورقائقهم وسير سلفه السيد محمد بن على بن السنوسى، والسيد المهدى، وغيرهما من الاولياء والصالحين واذا تكلم فى العلوم قال قولا سديدا، سواء فى علم الظاهر او علم الباطن،

وقد لحظت منه صبرا قل ان يوجد فى غيره من الرجال وعزما شديدا تلوح سيماءه على وجهه، فبينا هو فى تقواه من الابدال اذا هو فى شجاعته من الابطال وقد بلغنى انه كان فى حرب طرابلس ليشهد كثيرا من الوقائع بنفسه، ويمتطى جواده بضع عشرة ساعة على التوالى بدون كلال، وكثيرا ما كان يغامر [٥] بنفسه ولا يقتدى بالامراء وقواد الجيوش الذين يتأخرون عن ميدان الحرب

---

(١) الاستحياء (٢) السكينة (٣) تبسط (٤) يحترز ويتجنب (٥) يلقيها ويخاطر بها

مسافة كافية ، ان لا تصل اليه مريد الحد وفيما لو وقعت هزيمة وفى احدى المرات اوشك ان يقع فى ايدى الطليان ، وشاع انهم اخذوه اسيرًا ، وقد سألته عن تلك الواقعة فحكى لى خبرها بقوله صيد وهو انه كان ببرقة فبلغ الطليان[1] بواسطة الجواسيس ان السيد فى قلة من المجاهدين، وغير بعيد عن جيش الطليان ، فسرحوا[2] اليه قوة عدة الاف ومعها اهرباة خاصة لركوبه ، اذ كان اعتقادهم انه لا يفلت من ايديهم تلك المرة . فبلغه خبر زحفهم وكان يمكنه ان يتخيم[3] عن اللقاء او ان يتحرف[4] بنفسه الى جهة يكون فيها بنجاة من الخطر، اذ يترك الحرب للعرب تصادمهم فلم يفعل وقال لى " خفت انى ان طلبت النجاة بنفسى ، اصاب المجاهدين الوهل، فدارت عليهم الدائرة فثبت للطليان وهم بضعة آلاف بثلثمائة مقاتل لا غير، واستمات[5] العرب وصدموا العدو، فلما رأى هؤلاء وفرة من وقع من القتلى والجرحى ارتدوا على اعقابهم، وخلصنا نحن الى جهة وانضمت الينا جموع المجاهدين" قال لى : وفى هذه الوقعة جرح الضابط نجيب الحوراني ، الذى كان من اشجع ابطال الحرب الطرابلسية ،كان قائدًا ولكنه كان يغامس[6] بنفسه فى كل واقعة ، فجرح مرتين واستشهد فى الثالثة رحمه الله ، ولم يحزن السيد على احد حزنه عليه ، لما اهر شجاعته وشديد اخلاصه ، وكان السيد يكتب لى من الجبل الاخضر وافر الثناء عليه وهو اليوم مردد اثر الترحم عليه ، والشهيد المذكور هو نجيب بك بن الشيخ سعد العلى من مشائخ بلاد عجلون ، ترك فى بلاد العرب ذكرا خالدًا ،

---

(١) اهل اطاليه (٢) ارسلوا وجهوا (٣) يعدل بنصرف (٤) يميل (٥) ثبتوا وطلبوا الموت لا نفسهم (٦) يغامر يلقيها فى الخطر

والسيد احمد الشريف سريع الخاطر، سيال القلم، لا ميل الكتابة اصلا، وله عدة
كتب منها كتاب كبير اطلعنى عليه فى تاريخ السادة السنوسية، واخبار الاعيان من
مريديهم والمتصلين بهم، ينوى طبعه ونشره فيكون احسن كتاب لمعرفة اخبار السنوسيين
وانما يفهم الانسان من مطالعة اخبار سيدى محمد السنوسى، وولده سيدى المهدى، و
محادثة سيدى احمد الشريف، ان طريقتهم طريقة عملية، تعمل بالكتاب والسنة
ولا تكتفى بالاذكار والاوراد، دون القيام بعزائم الاسلام، كما كان عليه الصدر الاول
ولذلك وقفوا الجهاد ووقفوا فى وجه دولة عظيمة كدولة ايطاليا منذ ثلاث
عشرة سنة، ولولاهم كانت سيدة لطرابلس وبرقة منذ اول شهر من غارتها عليهما، و
يذكر الناس ان الطليان قدروا التدويخ(١) طرابلس وبرقة كلتيهما امدة خمسة عشر يوما،
من اول نزولهم، وان قوادا من الانكليز المحنكين فى حروب المستعمرات والبوادى، قالوا
ان الطليان افرطوا فى التفاؤل بظنهم الاستيلاء على طرابلس فى ١٥ يوما، والحقيقة
انه قد تأخذ هذه المسئلة معهم، ثلاثة اشهر... فلينظر الانسان كيف ان المدة التى
قدرها اركان الحرب فى ايطاليا ١٥ يوما وقدرها اركان الحرب فى انكلترة
ثلاثة اشهر تطاولت ثلاثة عشر سنة كاملة وفى حرب اليوم هى كما كانت
فى بدايتها، وكل هذا بفضل السادة السنوسية، ولاسيما هذا السيد العظيم سيدى
احمد الشريف، وكان الاوربيون فى عهد السلطان عبد الحميد يشكون الى السلطان
حركة السنوسى، ويتوجسون خيفة من تشكيلاته وحركاته ويرون فيه اعظم خصم
للدعوة الاوربية فى افريقية، وطالما ضغطت دول اوربا على السلطان لاجل ان يبتدى

القهر والاستيلاء عليها (٢) المجرّبين

السيد المهدى الى الاستانة ، ويامره بالاقامة بها ، ولا يأذن له بالعودة الى وطنه ، غلو للاوربيين الجو فى تقسيم اواسط افريقية ، وخضد الشوكة [1] الاسلامية فى تلك الديار ، فكان السلطان يماطل هاتيك الدول ، ويعتذر لهم بصنوف الاعذار ، بل كان يلاطف السنوسى كثيرا بالهدايا والكتابات ، الى ان اشتد الضغط على السلطان فى قضية السنوسى ، فارسل رجلا اسمه عصمت بك الى بنغازى ، ومنها الى جغبوب ، بأمورية سرية ، فبلغ المهدى ما هو عليه السلطان من الارتباك [2] من جهة ضغط الدول عليه فى امر الدعاية السنوسية ، فاجابه السيد المهدى بحسب ما قرأت فى التاريخ الذى تقدم ذكره ، بكلام لا يتضمن نفيا ولا ايجابا ، وانما تلا له آيات كريمة فى معنى الاتكال على الله ، ولكن السيد المهدى لم يعتم [3] بعد ذلك ان فارق جغبوب الى واحة الكفرة وبنى فيها زاوية التاج ، وعمر الكفرة عمارة جعلتها جنة فى وسط الصحراء ، والاغلب ان سبب تحوله من واحة الجغبوب القريبة من مصر وبرقة ، الى واحة الكفرة ، التى هى فى اواسط الصحراء الكبرى ، ثم توغله من الكفرة الى ناحية قرو التى اختاره الله فيها ، وهى على ابواب السودان هو امن ارتياحه الى العزلة ، وميله الى التنائى عن مراكز السلطة الرسمية ، والخروج من مناطق تاثير الدول الاستعمارية بحيث انتشرت [4] مراكزه محاطة بالفيافى والقفار ، ماهولة باقوام لا يزالون على الفطرة ، واصبح حرا فى بث دعوته لا تصل اليه يد بضغط ، ولا تعلو فوق كلمته كلمة وعكف على تهذيب تلك الاقوام ، ونشأهم فى طاعة الله بعد ان كانوا يتسكعون فى

---

(١) الحقد الكسر (٢) التردد (٣) لم يلبث الصاحب ای لم يلبث ان فارق
(٤) انتبذ مكانا اى اتخذه بمعزل يكون بعيدا .

ميادينه الجهل فتبدلت به الارض غير الارض، وانقلبت به اخلاق هاتيك الامم انقلابا احير العقول، ولم يقف في الدعاية الروحية على واحات الصحراء، واطراف السوادين، بل بث دعاته في اواسط افريقية فكان منهم مثل الشيخ محمد بن عبد الله السني، والشيخ حمودة المقداوي، والسيد طاهر الدغماري، ورجالات آخرون نحو جابوا السوادين مبشرين وهادين، فكان السيد المهدي هو المزاحم الاكبر لجمعيات المبشرين الاوربية، المنبثة في قارة افريقية كلها، وعلى يده وبسبب دعايته الحثيثة اهتدى للاسلام ملايين من الزنوج، فلهذا جمعيات المبشرين باسرها تشكو حزنها، وبثها من نجاح الاسلام في اواسط افريقية، مثل بلاد النيجر والكونغو والكامرون، وديار بحيرة تشاد، وتوجه اكثر شكواها الى الطريقة السنوسية، كما اطلعنا ذلك في مؤلفات اوربية عديدة. هذا من جهة القوة الروحية واما من جهة القوة المادية، فقد كان السيد المهدي يهدي هدي الصحابة والتابعين، لا يقتنع بالعبادة دون العمل، ويعلم ان احكام القرآن محتاجة الى السلطان، فكان يحث اخوانه ومريديه دائما على الفراسة، والرماية، ويبث فيهم روح الانفة والنشاط، ويحملهم على الطراد والجلاد، ويعظم في اعينهم فضيلة الجهاد، وقد اثمر غراس وعظه في مواقع كثيرة، لاسيما في الحرب الطرابلسية التي اثبت بها السنوسية ان لديهم قوة مادية تضارع قوة الدول الكبرى وتضارع اعظمها جبروتا وكبرا، وليست الحرب الطرابلسية وحدها هي التي كانت مظهر بطش

---

(١) تسكع تمادى في الباطل (٢) بيداء الجهل واوديته (٣) السرعة

السنوسيين بل سبقت لهم حروب مع الفرنسيس في مملكة كانم ومملكة وادای من السودان
استمرت من سنة ١٣١٩ الى سنة ١٣٣٠ هجرية وحدثني السيد احمد الشريف ان عمه المهدى
كان عنده خمسون بندقية خاصة به، وكان يتعاهدها بالمسح والتنظيف بيده
لا يرضى ان يمسها له أحد من اتباعه المعدودين بالمئات. قصدا او عمدا ليقتدى به
الناس ويحتفلوا بأمر الجهاد، وعدته وعتاده، وكان نهار الجمعة يوما خاصا بالتمرينات
الحربية، من طراد ورماية، وما أشبه ذلك. فكان يجلس السيد في مرقب عال،
والفرسان تتقدم صفين، ويبدأ الطراد، فلا ينتهي الا في آخر النهار، واحيانا
يضعون هدفا، ويأخذون بالرماية حتى كنت ترى طلبة العلم والمريدين
اكثرهم فرسانا ورماة، لكثرة ما كان يأخذهم به من المران، وكان يجيز
الذين يسبقون في الطراد أو يقرطسون(١) في الرمي، بجوائز ذات قيمة، ترغيبا لهم في
فضائل الحرب كما انه كان يوم الخميس من كل اسبوع مخصصا عندهم للشغل
بالايدي، فيتركون في ذلك اليوم الدروس كلها. ويشتغلون بانواع المهن
من بناء، ونجارة وحدادة، ونساجة، وصحافة، وغير ذلك.

لا تجد منهم في ذلك اليوم الا عاملا بيده والسيد المهدى نفسه يعمل بيده لا يفتر حتى
يثبت فيهم روح النشاط للعمل، وكان السيد المهدى وابوه من قبله، يهتمان جد
الاهتمام بالزراعة، والغرس تشهد على ذلك من الزوايا التي شادوها، والجنان
التي نسقوها بجوارها، فلا تجد زاوية الا لها بستان أو بساتين، وكانوا يستجلبون

---

(١) قرطس اصاب القرطاس اي الغرض

اصناف الاشجار الغريبة الى بلادهم من اقاصى البلدان، وقد ادخلوا فى الكفرة وجغبوب زراعات واغراسا لم يكن لاحد هنالك عهد بها، وكان بعض الطلبة يلتمسون من السيد محمد السنوسى ان يعلمهم الكيمياء فيقول لهم: " الكيمياء تحت سكة المحراث " واحيانا يقول لهم: " الكيمياء هى كد اليمين وعرق الجبين " وكان يشوق الطلبة والمريدين الى القيام على الحرف والصناعات، ويقول لهم جملا تطيب خواطرهم، وتزيد رغبتهم فى حرفهم، حتى لا يزدروا بها او يظنوا ان طبقتهم هى ادنى من طبقة العلماء، فكان يقول لهم: " يكفيكم من الدين حسن النية والقيام بالفرائض الشرعية، وليس غيركم بافضل منكم " واحيانا يدمج نفسه بين اهل الحرف، ويقول لهم وهو يشتغل معهم " يظن اهل الاوراق والسبحات انهم يسبقوننا عند الله، لا والله ما يسبقوننا " يريد باهل الاوراق العلماء و باهل السبحات العابدين والقانتين فكانه يريد ان يقول للمحترفين والصناع لا تظنوا انكم دون العلماء والزهاد مقاما بمجرد كونكم صناعا و عملة، وكونهم هم علماء و قراء، هذا التربية هم رغبة و شوقا، و يعلم الناس حرمة الصناعة التى لا مدنية الا بها.

هذه الطريقة عملية لا تعتمد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل والسير فهى تجمع بين العمل الشرعى بحذافيره[1] والتجرد الصوفى الى اقصى درجاته، وتنتظم بين الظاهر والباطن، نظاما لم يوفق اليه غيرها[2]، ويظهر ان مؤسسى هذه الطريقة السيد محمد بن على بن السنوسى، وولديه السيد المهدى، والسيد الشريف، وكبار

---

(١) بأسره واجمعه (٢) اقد سبقهم مجدد التنظيم فى الهند فى قرن السيد الامام احمد بن عرفان البريلوى امام الطريقة وامام المجاهدين ورئيس حكومة شرعية على تخوم الهند ووزيره وعينه مولانا اسماعيل الشهيد الدهلوى

اعوانهم مثل سيدى احمد الريفى ، وسيدى عمران بن بركة وسيدى احمد التواتى وسيدى عبد الرحيم بن احمد وسيدى عبد الله السنى وسيدى ابى القاسم العيساوى، وغيرهم كانوا على اخلاق عظيمة ومدارك سامية ، تدل عليها اقوالهم وافعالهم، حدثنى سيدى احمد الشريف ان عمه الاستاذ المهدى كان يقول له : "لا تحقرن احدا ، لا مسلما ولا نصرانيا ولا يهوديا ولا كافرا ، لعله يكون فى نفسه عند الله افضل منك ، اذ انت لا تدرى ماذا تكون خاتمته". وبمثل هذه الآداب كانوا ياخذون اولادهم ومريديهم ، فكان من هولاء اقطاب وابطال يتجمل التاريخ بذكرهم ، وواسطة عقدهم اليوم هو السيد احمد الشريف الذى نحن فى ترجمته

وقد ذرّفت[1] السيد المشار اليه على الخمسين ولكن هيئته لا تدل على وصوله الى هذه السن : لندورة الشيب فى شعره ، وهو رائع المنظر بهى الطلعة ، عَبْل[2] الجسم قوى البنية ، لا يمكن ان يراه احد بدون ان يجلّه ويحترمه[3]

---

(١) اربى وزاد

(٢) ضخم الجسم

(٣) توفى سيدى احمد الشريف السنوسى فى المدينة المنورة فى منتصف ذى القعدة سنة ١٣٥١ هـ

المراضع : للدكتور طه حسين (١)

اقبل المراضع الى مكة عجافا(٢) عجافا، تحملهن حمر عجاف نحاف، ويصحبهن ازواجهن قد مسهم الضر، واعياهم الكسب، واشتدت عليهم السنة، وجدبت بهم الارض، فما يجدون الى أمن ولا دعة ولا حياة سبيلا، وقد اقبلوا كدأب اهل البادية الى مكة، يلتمسون الرضعاء من ابناء السادة والمترفين فى قريش، ويبتغون بذلك فضلا من مال ونافلة من نعيم وحظا من هذا البر الذى تطمع فيه المراضع عند اهل الرضعاء، فلما القوا رحالهم اخذ المراضع الى مكة يعرضن انفسهن على دور الاغنياء واهل الثراء، ومنازل السادة واصحاب الشرف من اهل البطحاء و أسرع ازواجهن الى المسجد يطوفون ويلقون سراة الناس من قريش، فيسمعون منهم ويحدثون اليهم، ويتحدثون بهم على احتمال اثقال الحياة فى تلك البادية النائية بادية بنى سعد بن بكر، وما هى الا طوفة فى الضحى على بعض المنازل والدور حتى آب المراضع موفورات محبورات(٣)، قد وجدت كل واحدة منهن رضيعا من اسرة كريمة، موسرة، وامتلأت يدها بالمال، ونفسها بالآمال، وقلبها بالغبطة والامن على

---

(١) صاحب اسلوب بديع جميل فنان يجمع بين جمال العربية القديم وابداع العصر الجديد دقيق اللفظ ...... حسن الاختيار، أصح البيان فى الرواية شاعر مبدع وفى التاريخ مصور فنان وفى الابحاث العلمية منطق مستدل

(٢) عجفت الدابة ضعفت وذهب سمنها،

(٣) مسرورات منعمات

قوت العيال ، الا حليمة بنت ابى ذؤيب ؛ فانها عادت الى زوجها كئيبة محزونة لا تحمل الا ابنها الهزيل النحيل الذى يصيح فى غير انقطاع ، ويبكى فى غير هدوء لشدة ما مسه من الم الظمأ والجوع ،

ولقى الاعرابى امرأته الشابة محزونا مثلها ، كئيبا مثلها ، لا يؤذيه ما يحس من الجوع والظمأ كما يؤذيه ما يسمع ويرى من بكاء الطفل وتوجع أمه البائسة ، قال : إنى لأرى أترابك من المراضع يرجعن موفورات مجبورات يحملن الرضعاء ، فما بالك تعودين لا تحملين رضيعا الا هذا الطفل ؟ الهلاك قد دللت الناس على مكاننا من البؤس وحظنا من الفاقة حين احتملت هذا الطفل الذى لا ينقطع له صياح ؟ الهلاك قد ايأست الأمهات واخفت الآباء الا يلقى ابناؤهم عندك ما يرويهم من ظمأ أو يشبعهم من جوع ، ليتنى لم اغد مع الناس الى المسجد ، وليتنى بقيت هنا احفظ عليك هذا الطفل حتى لا يسمع الامهات والاباء له بكاء ولا شكاة ، وحتى لا يرى الآباء والامهات عليه بؤسا ولا ضرا . قالت : والله ما صدّ عنى الاباء والامهات ولقد اسكتُّ هذا الطفل فما بكى ولا شكا ، وما أحس احد علىّ ولا عليه ضرا أو شرا ، وانما صددت (١) أنا عن رضيع صد عنه الاتراب من قبلى ، قال الاعرابى : وفيم صددكن عنه واجتنابكن له ؟ قالت : يتيم ليس له أب يرعاه او يكلؤه ، انما هو الى أمه وجده وما تصنع امه وما يصنع جده ؟ وماذا تنتظر من بر الامهات بالمراضع ، ومن بر الجدود بالحفدة والهم كثير ؟ ! قال : صدقت ، وما لارضاع اليتامى والمساكين اقبلنا من ديار

---

(١) صَدَّه يَصُدّه (من نصر) صرفه ومنعه وصد يصد ويصد (من ضرب ونصر ايضا) اعرض ومال

بني سعد ، و إني لاجد في نفسي إشفاقا على هذا اليتيم ورحمة له ، ولكن ماذا نصنع به في تلك الارض الناشئة إذا لم يصل اليه واليتامى برأهله ما يقيمه ويقيمنا ويصلح من حاله ومن حالنا .

قالت : لقد رأيته فاحببته ، و نظرت اليه فرققت له ، ولقد آنست من امه دعة ولينا ولقد نازعتني نفسي إلى ان احمله لولا انى اشفقت مما تقول ، ولولا انى ذكرت الجدب وشدة السنة وانقطاع المادة ، واشفقت عليه مما نحن فيه ، قال الاعرابي : فستقفل إذاً كما اقبلنا ويقفل القوم راضين ، واني والله يا ابنة ابي ذؤيب ما ادري ابلغنا اتاننا وشارفنا[1] ديار بني سعد ، وانك لتعلمين ان اتاننا منهوكة مكدودة وان شارفنا ما تبض[2] قطرة من لبن ، قالت : فلنقم فان الاطفال يولدون ، ولعل الله ان يرزقنا بعد اليوم وغد رضيعا نجد عند أهله ما يرضينا ،

وهمّ المراضع بالقفول ، واخذت بنت ابي ذؤيب تنظر اليهن محزونة مكلومة يؤذيها ما ترى من نجاحهن واخفاقها ومن فوزهن وتخلفها ، واخذ الاعرابي ينظر الى رفاقه يشدون الرحال على المطايا ، ويحملون النساء على الاتن ، فيؤذيه ذلك ويغيظه ، ولكنه يخفي ما يجد من الغيظ و يظهر التجلد والصبر ، حتى إذا امضى القوم وامعنوا في الطريق وبعدوا عن مرمى العين ، نظر الرجل الى امرأته ، ونظرت المرأة الى زوجها ، ونظر الزوجان الى ابنهما واستمعا اليه كانه ، واذا هي تقول لزوجها : ما ادري لعلي لم أحسن حين جاريت أترابي واعرضت عن هذا اليتيم ، وان نفسي لتنازعني اليه ، وان قلبي ليعطفني عليه ، واني لأحس كانه يدعوني ، واني لاشعر كاني لا أستطيع

---

(١) الشارف من النوق المسنة الهرمة (٢) بض الماء سال قليلا قليلا

عنه صبرا، وإني لأرجو إن استجبت لهذا الدعاء الخفي أن يكون الله قد قدر لنا خيرا، و آثرنا ببعض ما نحب. قال: فلا عليك يا ابنة أبي ذؤيب! اذهبي إلى يتيمك فخذيه فإني أكره أن يرحل القوم ونبقى، وأن يعودوا إلى ديار بني سعد، فيتحدث المراضع أنهن قد ظفرن بالرضاع وأن نفوس الآباء والأمهات قد انصرفت عنك وزهدت فيك.

وتنهض بنت أبي ذؤيب فتحدث إلى آمنة فتعرض عليها إرضاع الطفل، وإذا آمنة تأبى وقد آذاها ما رأت من إعراض المراضع وانصرافهن، وعلى وجهها آيات حزن عميق، وفي صوتها بقية من بكاء، وأسنها باكية تمنيها على الإباء وتحرضها على الامتناع، ولكن ابنة أبي ذؤيب تنظر إلى الطفل فإذا قلبها يمتلئ حبا له. وإذا هي تحس أنها مدفوعة إليه دفعا، وإذا هي تسرع إلى الطفل فترفعه بين يديها وتدنيه من صدرها، وإذا الطفل يلتقم الثدي كأنما كان منه على ميعاد، وإذا هو يشرب حتى يروى، وإذا بنت أبي ذؤيب تجد من اللبن ما لم تكن تجد من قبل، وإذا آمنة تستجيب لها، فكيف تأبى عليها! وقد رأت من حب الطفل ومن إقبال الطفل عليها ومن إرضاعها له ما رأت! لقد أصبحت هذه الظئر له أما. قالت آمنة: خذيه بلا تراخ، فإني لا أرجو الأعجوبي منه إلا خيرا، فلقد حملته فما وجدت له ثقلا، ولقد انتظرته تسعة أشهر فما أحسست مما يحس النساء قليلا ولا كثيرا ولولا غاشية الحزن التي غشيتنا بفقد أبيه لكانت هذه الأشهر أسعد ما تظفر به امرأة من دهرها. ولكن الحوادث تحدث بالخطوب تلم والآمال تنقطع وقد كان يرجى أن تتصل والسحب تتراكم فتحجب ضوء الشمس، ولقد وضعت هذا الصبي، فما عرفت صاحبا في علي وعليه شيئا مما تعودن أن يجري على الأمهات والولدان، وإنك لتنكرين يا ظئر لو تعلمين، قالت حليمة: وماذا أسمع وماذا أنكر؟ قالت آمنة: لم أكن تلك الليلة في دار من

دور قريش، وانما كنت فى مكان لم يألفه الناس : كنت فى بحر من النور كله رحمة وبر ورضوان، ومالك لا تنكرين هذا يا ظئر وقد انكرته وانكرته صواحبى ! ومالك لا تعجبين يا ظئر وقد عجبت وعجبت صواحبى وعجب جده الشيخ، سلى حاضنته هذه تنبئك بما رأت وما سمعت، سلى من شئت من نساء بنى هاشم ورجالهم تعلمى ان لابنى هذا اليتيم شأنا ليس لغيره من ابناء الاغنياء واهل اليسار، لا تراعى يا ظئر، فانك تحملين وليدا كريما لأب كريم وجد كريم، ثم انهلت من عينيها دموع غزار وقالت فى صوت يقطعه البكاء لا تيأسى يا ظئر، فان معروفنا على قلته سيصل اليك، ورب قليل خير من كثير، قالت حليمة : وقد رق قلبها ، وجادت عينها ببعض الدمع على غير عادة الاعرابيات، لا بأس عليك يا ابنة وهب، فانى والله ما استطعت صبرا عن هذا الصبى منذ رأيته، وانى والله ما ادرى ما الذى عطفنى عليه حتى رجعت اليك آخذه منك، وقد كنت استطيع القفول، وقد كنت استطيع المكث فى بلدكم هذا يوما او اياما فالاطفال يولدون ونساء قريش فى حاجة الى المراضع كل يوم، ولكنه والله امر يراد، وانصرفت حليمة بابنها الجديد راضية مسرورة، قانعة بما زودتها به آمنة من البر والمعروف، حتى اذا انتهت الى زوجها الاعرابى لقيها باسم الثغر، مشرق الوجه، سعيدا لا تعود اليه صفر اليدين، ولم يكد ينظر الى الطفل حتى انطلق لسانه، واذا هو يقول لامرأته : إيه يا ابنة ابى ذؤيب ! ما رأيت كاليوم وجها مشرقا يفيض منه البشر، إنى والله لارجو ان يكون لنا من هذا الغلام خير، و ينهض الاعرابى إلى شارفه يلتمس فى ضرعها الجاف قطرات من لبن يبل بها ظمأ امرأته وينقع بها بعض غلته، فما اسرع ما يأخذه عجب لا ينقضى حين يرى شارفه حافلة تمنحه من اللبن ما يريدون وما تريد امرأته، وفوق ما يريد وما تريد امرأته، وينظر الاعرابى

فاذا ابنه الاول يجد عند امه ما يرويه ويرضيه، واذا وجوه الكالح[1] المظلمة تأخذ تشرق وتضيء واذا ابتسامة حلوة ظاهرة قد ارتسمت على ثغره[2] البريء؟ واذا هو يقول لامرأته تعلمي يا ابنة ابي ذؤيب انك قد حظيت نسمة مباركة

وتنهض الظئر الى اتانها فتركبها وتضع الرضيع بين يديها، وينهض الاعرابي الى شارفه فيمتطيها ويرميان بنفسيهما في الطريق يلتمسان الركب من بني سعد، والركب بعيد قد دفع به في طريق طويلة نائية، ولكن الاعرابية تجد من أتانها نشاطا وجدة، ولكن الاعرابي يجد من شارفه قوة ومرحا، وهما يمضيان وكانما تطوى لهما الارض طيا، ثم يقول الاعرابي لامرأته: سدي عينيك يا ابنة أبي ذؤيب أترين شيئا؟ قالت: إي والله، اني لاراهم وانهم لادنى من مرمى العين، وما هي إلا ان يبلغ الاعرابي جماعة بني سعد، فيعجب النساء بأمر حليمة وقد ادركتهم في غير جهد ولا كد. والامد بعيد، والطريق شاقة، ويسأل النساء حليمة عن هذا الرضيع الذي تحمله. فاذا انبأتهن بنبئه أظهرن لها الرقة والرثاء، واضمرن التيه والكبرياء، ويمضي الركب آخذا بأطراف الحديث وإن حليمة لتسبق اترابها حتى تعييهن، وان اترابها ليقلن لها: أهذه أتانك يا ابنة أبي ذؤيب التي أقبلت بك إلى مكة؟ فتقول: هي والله أتاني ما غيرتها، فيقلن: اربعي[3] علينا يا ابنة ابي ذؤيب، فما رأينا كاليوم مرحا ولا عدوا.

ويبلغ الركب ديار بني سعد ويثوب[4] المراضع الى بيوتهن ويستأنفن حياة اهل البادية في ارض مجدبة قل فيها الرعي[5] والماء وكثر فيها البؤس والشقاء، وغنم حليمة ترعى كما ترعى

---

(١) العابس (٢) الاسنان (٣) ارفقي بنا وهوني علينا (٤) يرجع (٥) بالكسر الكلأ

الغنم، ولكنها تروح ملاء حفلا لا يظما اصحابها ولا يجوعون، وتروح غنم السعديين مهزولة نحيلة ناضية [١]، لا تكاد تبض بما يبل الريق، وهم يقولون لرعاتهم: ويلكم! إرعوا حيث ترعى غنم ابنة أبى ذؤيب، فيقول الرعاة: والله انا لنرعى حيث ترعى، وانها والله لاتجد اكثر مما نجد، ولكنها تروح ملاء وتروح بغنمنا كما ترون، لا تغنى من ظمأ ولا جوع، فيقولون إن لابنة أبى ذؤيب لشأنا وتنعم حليمة وينعم أبناؤها الحياة رضية هادئة، وينمو رضيعها ويزكو، وتقضى هذه الأسرة عامين راضيين لا تعرف فيهما مشقة ولا جهدا. ولا تجد فيهما ألما ولا سقما، وانما هى أيام وليال تطرد ويمضى بعضها فى إثر بعض لا كدر فيها ولا تنغيص حتى إذا آن للرضيع ان يثوب الى امه نظرت حليمة وزوجها فاذا الطفل قد نما وزكا كأحسن ما ينمو الاطفال ويزكون، لم يكد يتم الثانية وكأنه ابن اربع والقوم عليه حراص، ولكنهم يردونه على ذلك الى امه كارهين، ثم همت حليمة ان ترجع وقد ارضعت آمنة وعبد المطلب، وارضتها آمنة وعبد المطلب، ولكنها لا تستطيع فراق الطفل حبا له، وحدبا عليه، ورغبة فى استبقاء ما وجدت فى اصحابه من خير، فتلح على آمنة فى أن ترده معها الى البادية، هناك حيث الهواء النقى، والسماء الصافية، والحياة الهادئة البريئة، هناك حيث لا مرض ولا وباء ولا فساد، وتجيبها آمنة الى ما ارادت وقد آثرت الطفل على نفسها، وضحت بلذة الامومة فى سبيل تنشىء ابنها تنشئا صالحا، وهل عرفت آمنة الا التضحية! وتمضى حليمة بالصبى راضية، وتبقى آمنة فى مكة محزونة، وتنظر بركة إلى حليمة نظرات فيهن الحسد، وتنظر بركة إلى آمنة نظرات فيهن اللوم [٢]

---

(١) ناشزة غائرة

(٢) على هامش السيرة للدكتور طه حسين

اختلاف انظار المسلمين فى الإسلام والقرآن للاستاذ احمد امين[1]

ومسألة أخرى كبيرة الاهمية فى عصرنا الذى نؤرخه[2] تلك هى ان تصور كثير من المسلمين للاسلام فى ذلك العصر يختلف عن تصورات المسلمين له فى العصور الاولى فحياة العربى الساذجة البسيطة السهلة تعقدت، والديانات المختلفة تسربت، والاعاجم الذين كانوا وثنيين اومانويين[3] اونحوهم دخلوا فى الاسلام ولم تنق رؤسهم من كل ماعلق بها من الديانات القديمة، وقد عاشوا فى المدنيات المركبة المعقدة، فنظروا الى الاسلام بعيونهم لابالعين العربية الاولى، وحق مايقال إن الامم وان اتحدت دينا فكل أمة يختلف نظرها فى تفاصيل دينها عن الامم الأخرى؛ وهى تنظر الى الدين من خلال تاريخها ونظمها الاجتماعية : من خلال اديانها المتعاقبة ومن خلال لغاتها وتقاليدها ومن خلال ثقافتها وتربيتها، الى غير ذلك، كل المسلمين يقولون :- " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ولكن نظر العالم الواسع الثقافة إلى الاسلام غير نظر العامى الجاهل، وكلاهما غير نظر الصوفى

---

(١) احمد امين عالم واسع الثقافة مؤلف جيل المذهب كاتب قدير طيع القلم ويمتاز بين اقرانه بحسن ملاحظته و دقة نظره وسداد رأيه وسلامة طبعه الى حد الندرة والغرابة فى هذا الجيل وفوق ذلك بفهمه لكثير من حقائق الاسلام واصوله وباعرابه عن روح الاسلام وحسن تمثيله للعقلية الاسلامية فى كثير من الجوانب العلمية والتاريخية خلافا للمتحامل الغالى ومتطفل التحقيق وبعض المشاهير فى عصره ومصره- ومن زياداته فجر الاسلام وضحى الاسلام (١ - ٢ - ٣) من خيار الكتب التى يشار على طلبة العلم بمطالعتها مع بحث ونقد لابتقليد وتسليم.

(٢) العصر العباسى (٣) اتباع مانى

وهكذا، بل نظر المسلمين من المصريين على وجه العموم، الى الاسلام يختلف في تفاصيله عن نظر الهنود المسلمين والاتراك المسلمين، لان كل امة تداول عليها من العوامل ما [illegible] غيرها وذلك من غير شك خالف بين انظارهم وعقلياتهم والناس كانوا ينظرون الى الاسلام نظرا يختلف باختلاف العصور يجيء في ذلك ما رواه البخاري والترمذي عن انس بن مالك المتوفى سنة ٩٠هـ قال: ما اعرف شيئا مما كان على عهد رسول الله صلعم قيل الصلوة؟ قال أليس صنعتم ما صنعتم فيها [1] فانس رضي الله عنه قد شاهد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الامويين ومع قرب العصرين لاحظ اختلاف الانظار والاعمال، فكيف اذا شاهد العباسيين ومن بعدهم، وقد كان الاسلام سهلا يسيرا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين احد الا غلبه" ويقول لا تشددوا على انفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على انفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم [2] "وكان القاسم بن محمد يلبس الخز وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان في مسجد المدينة فلا ينكر هذا على هذا ولا هذا على هذا [3] وكان هنالك نزعة لبعض الصحابة في الغلو في الدين، وقاومها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي كان بينه وبين عبد الله بن عمرو، فقد بلغه انه لا ينام ولا يفطر، ولا يؤدي حقوق اهله اغراقا في العبادة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله إن لك في رسول الله أسوة حسنة فرسول الله يصوم ويفطر ويأكل اللحم ويؤدي الى اهله حقوقهم، يا عبد الله ان [illegible]

---

(1) باب الاعتصام بالسنة (2) اخرجه ابو داود (3) العقد الفريد ٧٥٠

عليك حقا وان لبدنك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا».

وبعد هذا رأينا تشددا في الدين، وابتداعا لتقاليد، وغلوا في نواح مختلفة منهم من يلبس الصوف ويلتزمه ومنهم من يغلو في الانكار على لابسيه، «قدم حماد ابن سلمة البصرة فجاءه فرقد السنجي وعليه ثياب صوف فقال له حماد دع عنك نصرانيتك[1] وقال ابن السماك لاصحاب الصوف: والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم فقد احببتم ان يطلع الناس عليها، وان كان مخالفا لقد هلكتم»، وكان بعض الموالى يتشدد في الوضوء والطهارة، ويغلو في ذلك غلوا لا يعرفه العرب، فكان العرب يكرهون منهم ذلك[2] الى كثير من امثال هذا

وهناك ما هو اهم من هذا . ذلك ان الناس في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبعده كانوا يقرؤون القرآن او يسمعونه فيؤمنون بتفهم روحه، فان عنى علماؤهم لشيء من وراء ذلك فما يوضح الآية من سبب للنزول او استشهاد بابيات من اشعار العرب، تفسر لفظا غريبا، او أسلوبا غامضا - واكثر ما روى لنا في الطبرى وغيره عن الصحابة في تفسير القرآن هو من هذا القبيل، وما عرفنا في العصر الاول اتجاه الصحابة الى مذاهب دينية وآراء في الملل والنحل، فلما كنا في آخر العصر الاموى رأينا الكلام في القدر ورأينا المتكلمين فيه ينظرون الى القرآن من خلال عقيدتهم؛ فمن قال بالجبر اول كل آيات الاختيار ومن قال بالاختيار اول كل آيات الجبر وسال بعد ذلك السيل في العصر العباسي فصارت كل طائفة

---

(١) العقد ١ : ٥٠٠

(٢) انظر العقد ٢ : ٩١

واصحاب كل مذهب ينظرون اليه من خلال مذاهبهم ولئن كان هذا النظر فادحا من ناحية الجدال بين المسلمين وغيرهم والدعوة الى الاسلام كما بينت في موقف المعتزلة ! فقد أساء باضعاف الروح الدينية وما كانت توجهه من احياء القلب، اصبح علماء الكلام والمذاهب الدينية ....

... ينظرون الى القرآن من خلال الفلسفة اليونانية، وذلك إن كان فيه مران عقلي وتوسيع لبعض مناحي الفكر، ففيه اضعاف لقوة الروح وحماسة القلب سواء في ذلك المعتزلة والاشعرية والماتريدية فكلهم استخدموا الادلة اليونانية في العقائد الدينية وهي غير الطريقة التي نحاها القرآن الكريم في الدعوة الى الدين، فقد كادوا بعملهم هذا يقطعون الصلة بين العقل والقلب وينمون الناحية العقلية على حساب قوة العاطفة[1] ان شئت فاقرأ لاثبات قدرة الله قوله تعالى :

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝

ثم اقرأ في كتب علم الكلام الجدل بين الاشعرية والماتريدية في ان القدرة صفة ازلية متعلق وفق الارادة بمعنى صحة صدور الاثر والتمكن من

---

(١) على حساب القوة العاطفة يعني يضعفوا فكلما قويت الناحية العقلية ضعفت العاطفة

... كما يقول الماتريدية اوهى عديمة تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها كما يقول الاشاعرة فكون الفرق بين المنهجين والروحين! اهم غرض للقرآن الكريم إن يحيى الشعور ببيان علاقة الانسان القوية بالله والعالم، وان يعمل على ذلك بتغذية الحياة الروحية اما المتكلمون فارادوا ان يصلوا الى ذلك من طريق المنطق وشتان بين الطريقين! فحياة المنطق لا تملأ القلب حماسة ولا تحدث فى النفس حرارة ايمان، انما تقتل ذلك الحياة الروحية

لقد كثرت المذاهب والنحل فى ذلك العصر كثرة مدهشة حتى يصفهم المامون فيقول: "وطائفة قد اتخذ كل رجل منهم مجلسا، اعتقد به رياسة نعاله يدعو فئة الى ضرب من البدعة، ثم لعل كل رجل منهم يعادى من خالفه فى الامر الذى عقد به رياسة بدعة ويشيط بدمه. وهو قد خالفه من امر الدين بما هو اعظم من ذلك. الا ان ذلك امر لا رياسة له فيه فالمه عليه" الخ

ولنستعرض اسماء الفرق والمذاهب فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى، فندهش لكثرتها واختلافاتها، وهذه كلها كانت تنظر الى القرآن الكريم ذاهبين مذهبها وتفسره بما يلائمه فالمعتزلى يطبق القرآن على مذهبه فى الاختيار والصفات والتحسين والتقبيح العقليين، ويؤول ما لا يتفق ومذهبه، وكذلك يفعل الشيعى وذلك يختلف كل الاختلاف عن نظر المسلمين الاولين الى القرآن.

كان القرآن يدعو الى الايمان من طريقين! طريق النظر الى العالم نفسه وطريق التاريخ. فهو يرى ان نظر الانسان الى العالم يدعم إيمانه ويقوى نفسه

ففى الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض ، والابل كيف خلقت . والسما كيف رفعت والجبال كيف نصبت ، والارض كيف سطحت آيات على الله ، كما ان فى الاحاديث التاريخية عن الانبياء واممهم ما يدعوا الى الايمان ، وهذا النظر يناسب الناس على اختلافهم ، ففى استطاعة العالم والجاهل ان ينال الايمان من هذا الطريق ، والدعوة الى الحياة الروحية وحدها هى الدعوة التى يمكن ان توجه الى الناس كافة فلما اولع العلماء بالفلسفة اليونانية فى العصر العباسى حولوا اتجاه القرآن على النحو الذى يدرسون به الحساب والهندسة والهيئة ، وكان فى ذلك اضرار بالدين من ناحيته القلبية ونتج عن ذلك تعقيد العقيدة الاسلامية السهلة السمحة . حتى صار يشاهد انتاليه المتكلمين من معتزلة واشعرية واصبح اخيرا يمثلها " العقائد النسفية " و" متن السنوسيه وشعر بهذا النقص قوم من الصوفية المخلصين فدعوا الى الاسلام من منهجه الاول ، ولكن سرعان ما تحول بعضهم ايضاً الى الفلسفة يستمد منها كما سنبينه انشاء الله .

وكان كلما تعمق المسلمون فى العلوم والفلسفة نظروا الى القرآن من خلالها فاذا اتت آية فى الرعد والبرق شرحوها بكل ما وصل اليه علمهم فى الظواهر الجوية واذا اتت آية فى النجوم والسماء طبقوا ما علموا من علم الهيئة واذا اتت اشارة فى آية الى جبر واختيار عددوا مذاهب المتكلمين فيها واذا اتت مسألة نحوية افاضوا فى الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين ، وعلى الجملة فقد كدسوا كل ما عرفوا من علوم حول الآيات القرآنية . تغضم ذلك على دوالى

الازمان، كما ترى بعد فى تفسير الفخر الرازى، ففيه كل شئ وصل اليه المسلمون الا شيئا واحدا هو شرح روح القرآن"[1]

---

(١) ضحى الاسلام ج ١

*

اعتذار

ان الهند الاسلامية حلقة ذهبية فى سلسلة العالم الاسلامى ومدرسة خاصة فى تاريخ العلوم الاسلامية والآداب العربية لا يكمل اى تاريخ للعلوم الاسلامية والآداب العربية يؤلف فى مصر او الشام او العراق اذا اهملها او بخسها حقها ، وكان فى النية ان نعرض مع ادباء العرب مثلا ونخبا من كتابة بعض ادباء الهند لهذا العصر ونجومها الطالعة خصوصا المؤرخ الشهير والناقد البصير الاستاذ شبلى النعمانى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ والمؤلف الكبير والكاتب المترسل الاستاذ السيد عبد الحى الحسنى المتوفى سنة ١٣٤١ هـ صاحب جنة المشرق وعوارف المعارف فى انواع العلوم والمعارف ونزهة الخواطر فى ثمانية مجلدات والعالم الراسخ والاديب المتقن الاستاذ حميد الدين الفراهى صاحب كتب قيمة فى التفسير والبلاغة المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ والاديب الضليع والعالم النابغ الاستاذ السيد سليمان الندوى واللغوى المدقق والمورخ المحقق الاستاذ عبد العزيز الميمنى وفقيد اللغة والادب الاستاذ الحجة ابو عبد الله محمد السورتى المتوفى سنة ١٣٦١ هـ ، ورائد النهضة الادبية فى الهند ورسول الاصلاح فى تعليم اللغة العربية الاديب الكامل الاستاذ الشيخ تقى الدين الهلالى رئيس اساتذة آداب اللغة العربية فى دار العلوم التابعة لندوة العلماء سابقا ، وحامل لواء العربية فى الهند المعلم الكامل الاستاذ الشيخ خليل بن محمد . والصحافى البارع والكاتب القدير الاستاذ مسعود عالم الندوى منشئ مجلة الضياء العربية ،

ولكن الاستعجال واضطراب الاحوال لاجل الحرب قد حال دون ذلك وعسى ان نوفق له فى المستقبل والله ولى التوفيق